حياة مالكوم

خروج :

في عام 1961م أخذت صحة السيد محمد وتزداد سوءاً وبشكل مفاجئ ، وقد وضح لي ذلك جلياً عندما زرته وبدأ في الحديث معي حيث كان يبدأ بالقحة بشدة ، حتى تهتز جميع أوصال جسده ، الأمر الذي يزيد من ألمه ومعاناته فيأوي الى الفراش.

كنا نحن من ضمن المقربين المسئولين في جماعة امة الإسلام وبعضٌ من أفراد أسرته نتكتم عن أمر مرضه وصحته المعتلة، ولكن بمرور الوقت أصبح عدداً قليلاً من اعضاء المنظمة من المسلمين يدركون بأن هنالك أمراً ما فيما يتعلق بصحة إليجا، ولكن وبعد فترة وجيزة صار تكتمنا أمراً صعباً خاصة عندما كثرت وتكررت حالات إلغاء تجمعات ولقاءات كان ينوى إليجا اقامتها مما دفع البعض الى استنتاج مفاده ، انه لابد ان يكون هناك أمراً خطيراً هو الذي حجب قائدهم عن الالتقاء بهم حتى انتشر خبر اعتلال صحته بين الاتباع بين المنظمة.

أي شخص غير مسلم ، لا يستطيع أن ماذا يعني فقدان السيد محمد بالنسبة لأتباعه ، و محمد إليجا هو امة الإسلام كان النبي إليجا هو الذي جمع السود في منظمة هى الأفضل على الإطلاق لم يعرف الزنوج في امريكا مثلها.

كان المتحمسون والأتقياء من الجماعة يعتبرون إليجا محمد قائدهم وملهمهم بل ومصلحهم الاخلاقي والروحي. وبعبارة اخرى كنا نحن المسلمون من الجماعة نعتبر انفسنا أننا نمثل القدوة الاخلاقية والروحية لكل الزنوج السودة في امريكا وذلك لأننا كنا نسير على هدى وتعاليم النبي محمد إليجا ، كان السود يتحدثون ويتناقشون في مجتمعاتهم باحترام ، كيف أن المسلمين كان يتم فصلهم ، لكل من كذب أو قامر أو غش أو حتى دخن سيجارة.

اما من يرتكبون جرائم اخلاقية كالزنا فكانت عقوباتهم يحددها السيد محمد بنفسه، وهى تتراوح ما بين خمس الى سبعة سنوات أو حبس او طرد نهائي من الجماعة. كما كان السيد محمد يعاقب المسلمين بصورة أسرع وفي الحال ، مقارنة بالمنضمين الجدد إلى المسجد.

لأي مسلم كان ينأ بنفسه عن الفسق ، كان السيد محمد يمثل له القدوة والمرشد . كان لكل المسلمين شعوراً واحداً ، ألا وهو أنه لولا أضاء لنا السيد محمد الطريق لتهنا في ظلام الضلال.

أوصى الاطباء ، بضرورة البحث عن مكان ذو طقس جاف حتى تتحسن صحة مستر محمد، وحالته الصحية. سمعنا ان هناك منزلاً في مدينة فينكس(تكساس) معروضاً للبيع وهو يخص عازف ساكسفون يدعى (لويس جوردون) فقمنا في الحال بشرائه من خزانة المنظمة وسرعان ما انتقل المبجل محمد إليجا اليه.

لقد كنا شخصان اثنان اللذان عملا بجد من أجل خدمة امة الاسلام. لقد تمكنت من تحقيق احلامي حيث استطعنا ان نحقق التقدم الذي كان يحلم به السود في امريكا بحيث لا يجرؤ أحد أن يصفنا بالكذابين إذا زعمنا ان مستر محمد هو أقوى رجل أسود في امريكا على الاطلاق.

لقد كنت طوال تلك السنوات عوناً لمستر محمد مع غيري من المسئولين في أمة الاسلام حيث نجحنا في تثوير فكر الزنوج السود بل وفتح اعينهم على حقيقة تاريخهم بعد ان تخلصوا من غريزة الخوف.

شاركت مع غيري ايضاً في نشر الحقائق بدرجة التى تخلص منها السود من وهم اعتقاداتهم أن البيض جنس ينتمي الى طبقة أعلى منزلة ومتفوقة. كنت جزءاً من مجموعة نجحت في سبر أعماق وروح الرجل الأسود الامريكي وإن كان قد اصابتني حالة من الاحباط

وخيبة الأمل، كل ذلك لا يفت في قناعاتي ان أمة الاسلام يمكن ان تكون أعظم قوة في مسيرة كفاح الرجل الاسود في امريكا.

ولو اننا بزلنا مزيداً من الجهد أو قمنا بتعديل سياسة عدم التدخل وكنا أكثر مرونة وبذل اعضاؤنا جهداً أكثر خاصة في مشكلة لتل رووك وبعض الاماكن الأخرى لتغيرت نظرة العالم لنا ولعرف العالم حقيقة وضعنا ، مما كان سيدفعه الى احترام ومناقشة اوضاعنا. كنا عندما نختلط بإخواننا السود وتجمعنا بهم المناسبات في مجتمعاتهم وتجمعاتهم نسمع حديثاً يتردد مثل(إن المسلمين يتحدثون بقوة ولكنهم لا يفعلون شيئاً).

أتاح لي سفري كمسؤول في المنظمة من رؤية وتلمس الامكانية العالمية لمنظمتنا ، في اتخاذ مواقف متشددة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أمزجة الجماهير السوداء المتقلبة. لذلك فإن هذا القول بأننا نتكلم فقط ولا نعمل كلام غير دقيق فنحن أقوياء ذلك لأننا جزءاً فعالاً في حركة الكفاح السوداء وسوف نثور في يوم ما.

لكن بعيداً عن همي الشخصي هذا، فإنني أدعو الله أن يبارك جهودي أكثر من أي وقت مضى، أن حركة الاسلام تنمو بصورة سريعة هنا في مدينة نيويورك مقارنة بالأماكن الاخرى.

لقد استطعنا أن ننشىء أكبر المساجد في الولايات المتحدة الامريكية كلها، وهو مسجد(هارلم 7 أ) في منهاتن، ومسجد (كورونا 7 ب) في كوينز ومسجد 7س في بروكلن ، بينما كان في الماضي ينطلق عملنا من مسجد واحد صغير في مدينة نيويورك.

أما على المستوى القومي، شاركت إما بشكل مباشر أو ساعدت في انشاء معظم المائة مسجدٍ أو أكثر والتى توجد في الخمسين ولاية. كنت أعبر هذه البلاد طولاً وعرضاً، أحياناً في أكثر من اربعة مرات في الأسبوع لدرجة أنني كنت أحياناً أغفوا أثناء سفري، اضف الى ذلك، و

برنامج مارثونى للمقابلات واللقاءات مع كبريات الصحف ومحطات الراديو والتلفزة، وعدداً لا يحصى من الاحاديث العامة.

الطريقة المثلى للتعامل مع السيد محمد هى ان اطير بلا اجنحة التى منحنى اياها.

عندما استدعى الذاكرة وأعود بها الى عام 1961م وذلك عندما بدأت حالة السيد محمد تزداد سوئا كنت احياناً اسمع بعض التعليقات والتلميحات السلبية بشأني، كما لاحظت بعض الاشياء والتصرفات من البعض والتي تقف كشواهد وأدلة على وجود حالات من الحسد والغيرة. مثلاً كنت اسمع بعضهم يقول :(الواعظ مالكوم يحاول ان يستولى على منظمة امة الاسلام من مؤسسها الحقيقي ويبني لنفسه امبراطورية ومجداً)، كنت عندما اسمع مثل هذه الاقوال لا أغضب البتة بل كنت أقول لنفسي : (إن مثل هذه التعليقات، سوف تزيدني قوة وصلابة ، وتقوي عزيمتي وما اسمعه ما هو إلا اكاذيب)، ذلك لأنني اعلم ان السيد محمد كان في الواقع قد تنبأ لي بأنني سوف أصيب مقاماً عالياً الأمر الذي سوف يثير حسد وغيرة البعض. وقد ساعدني ذلك على تجاهلها وعدم الاكتراث بها.

ثمة اشاعة اخرى منتشرة بين غير المسلمين مفادها : (ان مالكوم اكس يكدس الكثير من الأموال! والحقيقة ان كل المسلمين من اعضاء جماعتنا يعلمون غير ذلك. وانا أتحدى مكتب التحقيقات الفدرالي FBI و وكالة التحقيقات المركزية C.I.B و مكتب خدمات الاموال الداخلية I.R.S او كل الضرائب ان تقدم دليلاً واحداً ضدي!. فأنا لا املك إلا عربة ومنزلاً مكون من 7 غرف للعيش فيه، ان امة الاسلام وبصورة جشعة وبحق يسعى لأخذه مني (وهنالك من يسعى لأخذه مني).

نعم! كان مخول لي التصرف في أموال المنظمة ، نعم كان مخول لي كذلك التصرف في مبالغ مالية أطلبها ، ولكن السيد محمد يعلم كما يعلم أي مسؤول مسلم آخر ، أن أي مليم أو نيكل أو ضايم حصلت عليه أنفقته في سبيل ترقية أمة الإسلام .

في الواقع ان مشكلة نظرتي في التعامل مع المال كان سبباً في مشاكل عائلية مع زوجتي (بيتى) . حيث كثرت التلميحات من زوجتي بيتي مع ازدياد عدد أطفالها إذ أنه عندما صار اولادنا يكثرون كثرت كذلك تلميحات زوجتي ، بضرورة إدخار بعض الاموال من أجل تأمين مستقبلهم. وكنت أرفض ذلك دائماً. وكان ذلك دائماً ما يثير جدلاً بيننا، كنت شديد الثقة في زوجتي (بيتى) حيث كنت أقول لها أنه إذا دعت الضرورة، فسوف نتصرف . وأقول لها ايضاً ان العديد من المنظمات فشلت ، بسبب عدم نزاهه قادتها فيما يتعلق بالمال.

كدنا ننفصل بسبب الجدل حول هذه المسالة ، ولكن أخيراً أقنعت زوجتي بيتي بأنه إذا حدث أمر ما لي فإن أمة الإسلام سوف تقوم برعايتها بقية حياتها. ولكن يبدو أني كنت غبياً جداً ! . كنت دائماً عند ظهوري في أي مقابلة تلفزيونية أو مقابلة على الهواء من خلال الراديو أو الصحيفة كنت أوضح ذلك بصورة جلية أنني في الواقع أمثل السيد محمد وكنت أرفض بشدة إذا سخر مني أحدهم بقوله (أنني أكثر من ذكر السيد محمد أليجا في أحاديثي) أو إذا قال أحدهم مالكوم أكس هو المسؤول الثاني في جماعة أمة الإسلام) كنت أرفض بشدة مثل هذا القول بقولي ، إن كل أعضاء المنظمة يأتون بالدرجة الثانية بعد مخلصهم السيد محمد .

كنت دائماً حقيبة مليئة بصور للمبجل السيد محمد، ذلك إذا صادف ان التقط صحفيا صورة منفردة لي، أسرع وأعطيه صورة السيد محمد ثم أقول معلقاً : (من فضلك ضع صورة المبجل بدلاً عن صورتي)، ولسعادتي وعندما وافق السيد محمد بإجراء مقابلات– وهو امراً كان يرفضه دائماً من قبل – سواء كان مع صحفيين بيضاً أو سوداً أطلب منهم ان يذهبوا ويقابلوا المبجل بنفسهم في مدينة شيكاغو، وأقول لهم:(إذهبوا واعرفوا الحقيقة منه شخصياً). كان ينتابني الكثير من عدم الارتياح والضيق من بعض الصحفيين بيضا كانوا او سوداً على السواء، والذين كانوا ينشرون في بعض مقالاتهم (أن جماعة أمة الاسلام تحقق المزيد من

التقدم والانتشار بفضل جهودي فقط)، وكنت أرفض مثل هذه الاشارات واعلق قائلاً (إن الفضل والحمد يعود لله سبحانه وتعالى، ومن بعده الى المبجل).

كنت أؤمن تماماً ، انه ما كان لأي شخص في منظمة امة الاسلام أن يحقق وينجز تلك الشهرة العالمية والتى حققتها، وذلك بفضل الأجنحة التي ألبسني إياها للتحليق بها في فضاءات الشهرة والمجد ومنحني قدراً كبيراً من الحرية، كان كل ذلك بمساعدة ومباركة السيد محمد اليجا ، ولذلك آليت على نفسي أن أكون خادماً متفانياً ومخلصاً له.

ورغم كل ذلك بدأت عام 1962م ألاحظ ان اسمي اصبح لا يظهر كثيراً في الصحيفة التابعة للمنظمة، كما كان الأمر من قبل. علمت فيما بعد ان هناك أوامر صدرت من(هيربرت) الابن الأكبر للمبجل، والذي صار رئيساً لتحرير صحيفة(محمد يتكلم).

في الواقع اصبحت الصحيفة تشير كثيراً الى الزنوج دعاة الاندماج، أكثر من إشارة أو ذكر اسمي، وأما كنت أجد الكثير من تحركاتي ولقاءاتي تغطيها الصحف الاوربية أو الاسيوية أو الافريقية. لم أكن أبحث عن شهرة أو سمعة لنفسي، لقد نلت الكثير من الشهرة العالمية أكثر من أي شخص أو مسؤول في أمة الاسلام ، ولكن بصراحة كنت أمقت حقيقة أن يكون هناك العديد من النشاطات والأعمال الخاصة بالجماعة، والتي انفذها انا باسمها، ولكن لا تجد طريقها الى النشر، وذلك فقط لأنني انا الذي أقوم بها.

كنت أقيم تجمعات كبيرة لنشر تعاليم السيد محمد ،ولكن بسبب نار الغيرة وضيق الأفق، لا تجد هذه النشاطات نصيبها من النشر ولكم أن تعلموا أنه وفي ذلك الوقت كان قد صدر – ودون علمي – أمراً للتعتيم على كل نشاطاتي. ولإعطاء امثلة على ذلك، تحدثت مع ما يقرب من ثمانية الف طالب من جامعة كلفورنيا وقامت الصحافة هناك بتغطية سخية وكبيرة جداً، وعندما عدت من شيكاغو قوبلت بردود وأفعال باردة.

حدث شيء مماثل في لقاء تم في (هارلم) أن مقر رئاسة الجماعة في شيكاغو حاولت منعي من إقامة أي تجمعات كبيرة، ورغم ما قمت به من نشاطات وفعاليات لم يفعل شيء سواء زيادة حسد وغيرة المسئولين في مقر رئاسة المنظمة، ولكنى لم أكن لأحفل بذلك كثيراً واعتبره جزاءاً من الطبيعة البشرية، المجبولة على الحسد والغيرة. كما لم أكن أحاول أن أبدو شخصاً نبيلاً أو دائماً على حق، ولكنى أقول الحقيقة ذلك لحبي لجماعة أمة الاسلام ومؤسسها السيد محمد، كما كنت أدرك ان هذا الحدث من مسؤولي الجماعي بسبب نشر صورتي وأحاديثي بشكل يومي في الصحافة.

لا يذكر هؤلاء الحاسدون ان الاكثار من نشر صوري يرجع في الأصل الى حبي وغيرتي الشديدة على امة الإسلام ممثلة في مؤسسها السيد محمد. ولما كان لمنظمتنا ومجموعتنا ان تكون دائماً عرضة للكثير من الاشاعات واحيانا الاكاذيب الملفقه، ولا شك إن الفطنة تستدعي وجود متحدث باسم المنظمة،للرد على تلك الاكاذيب والاشاعات، كما ان الذوق السليم يحتم منع مؤسس الجماعة السيد محمد القيام بهذه المهمة، نتيجة لذلك فإن من يكلف بها لابد أن يصبح محل اهتمام للصحافة ووسائل الاعلام.

إذا حدث ان غمرتني مشاعر الكراهية والسخت، كنت أخجل من نفسي ، واعتبر ذلك علامة ضعف من جانبي، فكنت اعلم ان السيد محمد يدرك تماماً ان حياتي مكرسة له وللمنظمة.

عام 1963م بلغ السيل الذُبا واصبحت غير قادر على تحمل منتقدي خاصة من يشغلون مواقع هامة بالمنظمة، حيث اقلعت عن اختيار بعض الاخوة وإعطاؤهم نقود ودعم لإنشاء مساجد في مدن اخرى. لقد تناهى الى سمعي بعض الملاحظات واخذ بعض الاخوة يسمون اولئك الوعاظ بـ (وعاظ مالكوم اكس). كما قمت برفض طلب من مجلة Life لنشر قصة حياتي،ورفضت ايضا طلبي من مجلة نيوزويك بإجراء قصة غلاف (Cover story) عني، كما رفضت للمرة الثالثة المشاركة في برنامج تلفزيوني يسمى (قابل الصحافة) وكل

رفض، لا شك كان يدخل في خانة الخسارة لمنظمتنا امة الاسلام ، كل ذلك بسبب مسلك وتصرف مقر الجماعة في شيكاغو.

عندما شقت رصاصة ظهر (ميجر أقرز) في المسيسيبي ، كنت انوي ان أقول الحقيقة الصادمة ، كذلك عندما انفجرت قنبلة داخل كنيسة، يتردد عليها زنوج مسيحيون في بيرمنجهام في الباما فقتلت اربعة فتيات زنجيات صغيرات كنت انوي ايضاً التعليق!! وقول الحقيقة! لكن ليس الترديد الببغائي لما يقوله البض ، والذين يرددون ببلاهه أن مناخ الكراهية يسود، ويسيطر على كل البلاد، وكلما سمح لموجة الكراهية ان تعم– بينما كان يمكن اتباع وسائل لقمعها والسيطرة عليها– كلما صارت هذه الموجة أكثر جرأة ، الى ان يؤدي ذلك انتقال موجة الكراهية والغضب قادة ومسؤولين بيضاً.

في دلاس تكساس فقد حدث مثلاً أن وجهت اساءة للمستر (جونسون) نائب الرئيس وقتها وحرمه. وتم البصق والضرب على رأٍس أدلى استيفن سن سفير امريكا في الامم المتحدة ، وبواسطة امرأة ريفية.

في أواخر 1963م وفي فلادلفيا، أمام جمع كبير من المسلمين، احتضنني السيد محمد اليجا وقال بعد أن تم تنصيبي كأول واعظ على المستوى القومي وأمة الاسلام (هذا الرجل هو أكثر مبشري أمة الاسلام اخلاصاً وعملاً، وسيظل كذلك حتى الموت) ، لم يكن السيد محمد قد خص أيفرد من امة الاسلام باشارة كهذه من قبل، وقد كانت تعني لي الكثير. وكان ذلك آخر ظهور لنا معاً.

لم يمر وقت طويل من ذلك اللقاء، و كنت على برنامج على الهواء في راديو (جرى وليم) عندما اعطاني احدهم خبراً كانت تبثه The Associated pressقبل وقت قصير، وفيه ذلك الجزء الذي يقول : (ان مجلس مواطني لوزيانا أصدر جائزة تقدر بعشرة الف دولاراً لمن يقوم

بقتلي). ولكن في الواقع فإن التهديد بقتلي يوجد في مكان آخر أكثر قريباً من لوزيانا تلك البعيدة.

إحزر! ما أقوله لك هو الحقيقة المجردة! عندما علمت بالشخص الآخر الذي يريدني ميتاً – أقول لك...! عندما علمت بذلك ! كادت هذه الحقيقة الصادمة تفقدني صوابي وتوازني!!.

خلال الاثنتي عشر سنة، ومنذ أن أصبحت واعظاً لجماعة الاسلام) كنت دائماً أدعو بشدة الى التمسك بالأخلاق والقيم للدرجة ان العديد من اعضاء المنظمة وصفوني (بعدو المرأة) وقد كنت شغوفاً باعتقاد جازم، ان اليجا محمد يمثل في شخصه خير قدوة ويعتبر رمزاً للأخلاق والقيم الاسلامية السمحة لكل الامريكان السود. بل كانت هذه العقيدة جزءاً من التعاليم التي أقوم بنشرها خلال اثنتي عشر عاماً في عملي، لعل التحول والتغيير الذي طرأ على حياتي خير دليل على ذلك كما كان خير دليلاً ايضا على القوة الاخلاقية والروحية التي يمتلكها اليجا محمد لإصلاح حياة السود وواقعهم.لم يحدث ان مسست إمرأة طيلة تلك الاثنتي عشر سنة ومنذ خروجي من السجن وذلك بسبب تأثير السيد محمد.

وفي عام 1963م أصحبت احاديثي ذات الصبغة الدينية تقل شيئاً فشيئاً، أصبحت اركز في تلك الاحاديث على الاوضاع السياسية والاجتماعية والشئون العامة للمسلمين السود. ابتعدت عن التحدث في الدين والأخلاق وكان السبب في ذلك هو الزنا وإلصاقه باسم السيد محمد!!

عقيدتي وإيماني بالمنظمة وتعاليمها بدأت تهتز بطريقة يصعب وضعها، لأنني أكتشفت أن خيانة السيد محمد ، بدأت تمس بعض الأخوة المسلمين.

وأريد هنا أن أوجز بالقدر الذي يظهر أن موقف وردود أفعالي مفهومة ومقدرة. ولا أريد أن أطرح أي تساؤل يعلم الآن . وأقول بإيجاز وأنا أقتبس قصة ظهرت في صحيفة ، كما أذيعت عبر الراديو والتلفاز في كل الولايات المتحدة الامريكية.

((يواجه اليوم 3 يوليو في محكمة في لوس انجلس، إليجا محمد 67 عام الزعيم الروحي بحركة المسلمين السود، قضية أبوة مرفوعة من اثنتين من سكرتيرتيه السابقتين، اللتان تدعيان أبوة، الزعيم لأطفالهم الأربعة الفتاتان في العشرين من العمر، وهمت Miss روزى " مس وليمز على التوالي، قد أدعتا أنهن كنَّ على علاقة حميمة مع إليجا محمد منذ 1955م حتى تاريخ اليوم 1963م . وأدلت مس روزى أن السيد اليجا، أب لاثنتين من اطفالها وهى حامل بالثالث . أما المدعية الأخرى، قالت أنه أب لابنتها الوحيدة.

وكنت قد سمعت منذ 1955م تلميحات وإشاعات حول هذا الموضوع. ولكن صدقوني لم يخطر مجرد خاطرة أن أصدق شيء كهذا ، أي تلويث سمعة السيد محمد بسلوك غير اخلاقي!! ذلك لأن مجرد التفكير فى أمر كهذا ، كان يجعلني أهتز وارتجف من الحدث!!.

لأن عقلي يرفض ببساطة قبول شيء مُشين كزنا وإلصاقه باسم مخلصنا السيد محمد!! الزنا!! لماذا!!.

إن أي مسلم يضبط متلبثاً بجريمة كهذه يحاكم أيجازياً، ويبعد من المنظمة بعد فضحه!!

عقدت الكثير من المحاكمات لسكرتيرات كنّ يعملن مع السيد محمد، حملت سفاحاً، تمت محاكمتهن بعد ان أدنّ بالزنا واعترفت بالجريمة، فتم ابعادهن من المنظمة، وحصلنَّ على احكام تتراوح بين سنة واحدة الى خمس سنوات النفي أو العزلة التى تعني منع أي اتصال مع أي فرد من الجماعة.

لا أدري ماذا أقول ، لأولئك على مدى قوة ثقتي في السيد محمد ،لدرجة أنني رفضت رفضاً تاماً ومطلقاً تصديق حتى عقلي، رفضت ببساطة تصديق ما أسمع!! لا أريد أن اتعرض لنفس التجربة. (حرق مخي) كما حدث مع اخى الاصغر (رجنالد) Reginald الذي كان له افكار شريرة عن اليجا محمد، كانت آخر مرة قابلته فيها، عندما رأيته يدخل مطعم يتبع للمنظمة هو المسجد رقم (7) فعندما دلف عبر المدخل، ذهبت اليه وقابلته ، نظرت في عينيه

ثم قلت له، أنه لم يعدّ مرحباً به ، وسط جماعة المسلمين، قفل راجعاً ولم أره منذ ذلك . فعلت ذلك مع أخى شقيقي ذلك لأن السيد محمد كان قد أصدر حكماً بعزل (رجنالد" Reginald من المنظمة، وكنت أعتبر نفسي مسلماً مخلصاً ، أكثر منه كوني أخاً شقيقاً ل "رجينالد).

لا يمكن أن يقنعني أحدهم ،أن السيد محمد يمكن أن يخون ذلك التقييم والتبجيل ، الذين اظهرهما ذلك العدد من فقراء المسلمين والذين كانوا يدفعون بسخاء من مدخراتهم الخاصة، لتمويل نشاط واعمال "امة الاسلام" المخلصون ، وللا يمكلون حتى حق إيجار منازلهم.

بحلول 1962م علمت من مصادر موثوقة أن هناك اعداداً كبيرة من المسلمين بدءوا في ترك المسجد رقم(2) فقد بدأت تلك الاشاعة البغيضة تنتشر، حتى وسط غير المسلمين. عندما أفكر في الكيفية والتى كانت تسعى بها الصحافة طيلة الفترة الماضية في لإشانة سمعة " أمة الإسلام ، كنت أرتجف في التفكير في ماذا يحدث إذا حدث أن وصل شيء كهذا الى أذن الصحفيين سواء كانوا سوداً أو بيضاً!!

بدأت أرى كوابيس!! قرأت عناوين عريضة لبعض الصحف!!

كنت أنؤ بحمل ثقيل من الحدث، وأنا أجري مقابلات صحفية في كل أرجاء امريكا.

إذا اقترب مني صحفياً متسائلاً " هل هى الحقيقة يا مالكم اكس" هذا التقرير والذي سمعناه والذي جاء فيه.....!ترى بماذا أجيب!!!

لم استطيع ولو للحظة واحدة الاعتراف لنفسي بحقيقة الامر بالطريقة التي يفعلها العقل البشري، ولكن كنت اعترف لنفسي بالحقيقة البغيضة، وأنا اتعامل مع هذه الحقيقة .

ثم فجأة اخذ بعض المسلمين وغيرهم في نيويورك وشيكاغو الذين كنت أعرفهم يسألونني إن كنت سمعت بالذي سمعوه! كنت احياناً اتصرف وكانت ليس لدي أدنى فكرة عن ما يتحدثون عنه. أحمد الله كثيراً عندما لا يخوضون في تفاصيل أكثر. كنت أعلم بأنني

أبدو في نظرهم مغفلاً !! وكنت بيني وبين نفسي غبياً فعلاً! وانا أقوم بالقاء المحاضرات وأقوم المواعظ، واضع حداً بأنني لا علم ليّ بما يدور حولي في منظمتي!! هو أمر يتعلق بالرجل نفسه، الذي كنت اسير به واعظه في محاضراتي . هذا الشعور بالغباء أسفر عن مشاعر لم تنتابني منذ أيام، ترويج المخدرات في " هارلم" أسواء شيء بالنسبة للمروج هو شعوره بالغباء وأنه مخدوع .!

وسوف أعطيكم مثالاً لذلك ، حدث ذلك في كواليس مسرح "أبولو" بـ هارلم عندما تقدم نحوي الممثل الكوميدي المعروف (ديك جروجوري) وقال : (يا رجل إن محمد ليس سوى .....!! لا ستطيع أن اتفوه بالكلمة التي استخدمها واصافا بها السيد محمد، فانتابتني مشاعر الانتقام لمهاجمته! ولكن بدلا عن ذلك شعرت بخواء داخلي، ويبدو أن ديك أحس بان كلامه هذا قد ضايقني ، فغير الموضوع في الحال. فهو رجل على الرغم من صراحته الشديدة لكنه حكيم. كنت أرغب في التوسل اليه بأن لا يذكر أي شيء مما قاله ليّ لأي شخص آخر ، ولكن لم افعل ذك لأن ذلك يعنى ببساطة اعتراف منى بصحة ما يقال.

ولكنني عاجز عن وصف العذاب والضيق اللذان انتاباني.

أخذت أول طائرة وتوجهت الى السيد محمد اليجا ، لقد أحياني من عالم الموت والضلال، الذي كنت اعيش فيه، ذلك ما حققته في حياتي من انجازات يعود الفضل فيها اليه، فلا يمكن أن اخذله هذه المرة.

لا يمكن أن ألجأ لأي شخص سواه، بخصوص هذه المشكلة ، أخيراً لابد من القيام بشيء ، ولكن قرت أولاً الذهاب الى شيكاغو لمقابلة أبنه الثاني وليس Wallace محمد فهو رجلٌ مستقيم وموضوعي ولقد كان دائماً بيننا تقارب وثقة. شعرت من تعابير وجهه وأليس من اللحظة التي راني فيها، أن ربما يكون قد استنتج سبب زيارتي له فقال : " إني اعلم" فاعتقدت

انه يدعم موقفي لمساعدة أبيه ، قال: أن أباه لا يرحب بأي جهود لمساعدته، فقلت في نفسي أن واليس هذا لابد أن يكون مجنون!!

الخطوة الثانية أنني لقد خرقت تلك اللائحة التى تمنع أي مسلم من الاتصال بأي مسلم اذا كان محكوم عليه بحالة من " الانعزال" ، ضربت بذلك عرض الحائط، وذهبت وتحدثت مع السكرتيرات السابقات للسيد محمد، وسمعت من أقوالهن القصة الكاملة عن حقيقة ما يروى، قلنَّ لي أن السيد محمد هو الأب لأطفالهنَّ ! وقلنّ لي ايضاً أن اليجا محمد قال لهنَّ "إن مالكم اكس هو أفضل رجاي ولكنه سيترك المنظمة يوما ما.ويعمل ضدي اذلك انه خطر على المنظمة!!

أدركت مما سمعته من هؤلاء النسوة انه بينما كان السيد محمد يشيد بي في وجهي وامامي، كان يسعى لتشويه سمعتي وتمزيقي إرباً إرباً وراء ظهري وفي غيابي! لكم ألمني ذلك!!!!.

كان ينتابني شعور بالخوف كلّما واجهت المايكروفونات وكمرات الصحفيين أو عند مواجهة اخوتي من المسلمين في المسجد رقم (7) أخيراً تبلورت أمامي الصورة كاملة،فكلما بقيت صامتاً كلّما كنت في نظر أخوتي أنني اخون السيد اليجا، قلت لنفسي أنني بهذا الموقف السلبي أجد نفسي لا أخدم السيد محمد، لابد من مواجهته بهذه الحقيقة فكتبت له رسالة قلت له فيها (أن السُم قد انتشر وان هناك كلاماً يدور حوله ، فرد رسالتي بمكالمة هاتفية قائلاً: (انه سوف يناقش معي الأمر عندما نلتقي)، وكنت أنوي لذلك بشكل يائس أن أجد طريقة ما استطيع بها الالتفاف حول هذه المشكلة، كنت أؤمن بقوة بأمة الاسلام ، فنحن لسنا مجموعة من الزنوج المسيحيين يقفزون ويرددون اهازيج كنيسة، ويرقصون ، وهم منشغلون بالذنوب والآثام ، لذلك كنت أبحث عن مخرج من هذه الورطة وقد تمثل ذلك المخرج في أن المخلصين من الملسمين لابد أن يعلموا ان انجازات الشخص في حياته من اعمال الخير، لا

تقارن بضعفه البشري واخفاءاته الشخصية. قمنا أنا وابنه "اليس" بمراجعة القرآن والإنجيل لدعم وجهة نظرنا.

بدأت أقوم بمواعظ ومحاضرات في المسجد رقم(7) تتمحور حول حقيقة واحدة وهى ان أعمال الإنسان الإيجابية في حياته ترجح وتزن أعماله الشريرة السيد محمد استطاع في حياته أن ينجز ويحقق اشياء عظيمة وهي تزن وتعادل ضعفه البشري. فأعمال الخير والتي يقوم بها الانسان في حياته ، ينبغي أن لا تقارن بأعماله الشريرة والسيئة.

عن ممارسة داؤود للزنا مع مملكة بئر سبأ لا تقدح في تاريخه الناصع ، وهو الذي قام بقتل جالوت ، وعندما نفكر في لوط لا نتناول قضية زنا المحارم ولكن نذكر أعماله الجيدة في إنقاذ مدينتي سدوم وعمورية من الدمار .

كما أن صورتنا عن نوح ليست شربه للخمر ولكن عمله ببناء السفينة وتعاليمه العظيمة في انقاذ البشر من الفيضان ، وموسى أيضاً نذكره ونذكر اعماله الجليلة في قيادة وإخراج اليهود من العبودية ولا نذكر موسى الذي زنا بامرأة أثيوبية . في كل هذه الأمثلة استعرضنا الجوانب الإيجابية التي رجحت بكفة الجوانب السلبية .

لقد كان الأمر اشبه بمعجزة أن " حديث الزنا" هذا انتشر في مدينة شيكاغو ، ويبدو أنه تسرب قليلاً منه فقط الى مدن بوستن وديرويد ونيويورك ، ولكنه وبشكل غريب لم نصل الى مساجد اخرى في القطر. بدأ عدداً من المسلمين والذين غادروا المسجد رقم (2) ليزداد بشكل كبير، لقد سمعت أن الكثير من غير المسلمين والذين كانوا من السامين يتعاطفون معنا، بدءوا في انتقاء منظمتنا بشكل علني ، كنت حضوراً في حفل تخريج في الجامعة الاسلامية في فبراير 1963م ،ممثلاً لأمة الاسلام ، فعندما أقم باذاعة اسم متخرج ينتمي الى اسرة السيد محمد اليجا ، كان الناس يستقبلون ذلك ببرود شديد واستهجان.

أخيراً طلب السيد محمد اليجا مني الفر الى "فينكس" ومقابلته، كان ذلك في ابريل 1963م تعانقنا، كما نحن دائماً ، وفي الحال انتحى بيّ جانباً، وبدأنا نتحدث بالقرب من المسبح الخاص به. لقد كان حتى تلك اللحظة في نظري هو السيد محمد اليجا(نبي الله) بينما انا كنت مسيحيا وفاسداً للدرجة التي لقبونيّ " بالشيطان" ، لقد انقذني هذا الرجل من تلك الحالة ، هذا هو الرجل الذي قام بتدريبي وعاملني كأنني جزءاً منه، ولولاه لمّا تمكنت من الطيران والتجوال حول العالم.

تمشينا سوياً بضع خطوات، وبرأسي دوامة من الأفكار، ويموج صدري باحاسيس متناقضة ، :حسناً يا أبني ماذا يدور برأسك؟! يسأل السيد محمد اليجا . قلت له صراحة وبدون مقدمات ما يدور من حديث حوله، وبدون انتظار اجابه منه ذكرت له انا وأبنه واليس، قد قمنا بدراسة القرآن الكريم والإنجيل، ، ووصلنا الى انه يجب على المسلمين أن يعلموا، إذا دعت الضرورة أن الذي حدث ما هو إلا اتمام للنبوة).

(إني انا لست مندهشاً!! قال اليجا محمد : (أت دائماً لك فهم جيد للنبوءات والمسائل الروحية. لقد فهمت لوحدك أن كل هذا :(اتمام لنبؤتي ورسالتي).

من المعروف في مجال الوقاية الطبية ، اذا انتشر وباء في منطقة ، فان أمن تلك المنطقة يحصنون من الوباء بمصل تحمل جراثيم نفس الوباء ، بهذه الطريقة تقوى مقاومتهم لفيروسات هذا الوباء ،أخترت ستة من مسؤولي المنظمة من الساحل الشرقي، أخبرتهم بالقصة الكاملة، وشرحت لهم لماذا اخبرتهم هم بالذات، وقلت لهم أن مهمتهم هى تعليم باقي المسلمين مساعدتهم على فهم ما حدث ويركزوا في احاديثهم حول مشكلة " اتمام النبوة" وعلمت أن بعضهم كان قد سمع بذلك، خاصة المواعظ روليس اكس من مسجد " بوستن" وذلك قبل شهور. والبعض الاخر كان يعايش المعضلة كما كنت افعل انا تماماً.

ولكن لا يخطر ببالي يوماً أن مستوى المسلمين في شيكاغو سيجعلون الأمر يبدو لأنني وبنشر فكرة "اتمام النبؤة" هذه، انما كنت في الواقع أصب الزيت بدلاً عن الماء على النار. كما لم أتوقع أنهم سيجعلون الأمر يبدو وكأنني أساعد في انتشار الوباء ، وذلك بدلاً من تحصين المسلمين من الفيروس .

وقد أعد مسرح الأحداث في شيكاغو بحيث يحّول المسلمين جُل انظارهم بعيداً عن أصل المشكلة، ويركزون علّيَ.

ستكون القضية هى توحيد شتات المسملين بعد أن تضعضعت عقيدتهم، حول كراهية مالكم اكس ، كان بعض غير المسلمين من الزنوج والذين يعرفونني جدياً، بل حتى بعضاً من الضعيفين البيض، يقولون لّ أحد البيض : (مالكم ! نحن البيض نحتاج لصوتك أكثر من الزنوج انفسهم!! لا يمكن نسيان ذلك ، لأنني ومنذ ان صرت عضواً في الجماعة ، لم أتحدث مع أي فرد ابيض إلا إذا كان الحديث يدور حول امة الاسلام وقضية كفاح الرجل الأسود في امريكا.

لا أدري كيف! ولماذا؟ ولكن ذكرنى ذلك الرجل الابيض بقراطيس وكتب البحر الميت . قرأت شيء كهذا " نعم " هذه الكتب ستأخذ المسيح من هامش التاريخ البشري والذي وضعه فيه البيض وتصويره كشخص ابيضاً والزج به في قلب التاريخ حيث يجعل منه رجلاً غير ابيضاً اطلاقاً!!!.

لقد اندهش الصحفي الابيض من كلامي، ثم واصل الحديث قائلاً(ان قراطيس البحر الميت تذهب اكثر من ذلك لتأكد أن يسوع كان عضواً في جماعة الأخوة المصرية وهى جماعة من العراقيين تسمى "أسنس" وقد ذكر ذلك المؤرخ المصري الشهير (فيلو) وهو مؤرخ عاصر اليسوع، وقد خضنا أنا وهذا الصحفي الابيض في حديث استمر ذهاء ساعتان، حول التاريخ وعلم الآثار، والدين كان حديثاً ممتعاً أنساني همومي بعض الوقت،. أذكر أنه انتهينا

الى انه وبحلول عام 2000م سيكون كل طفل علم الحقيقة الخاصة بأصل جميعه العظماء في التاريخ البشري.

توقعت أن الصحف في عناوينها سوف تتحدث عني وعما حدث بيني وبين بعض الأخوة ، ولكن لم أكن أتوقع ما جاء لاحقاً في الأخبار. لا اعتقد أن أحداً يحتاج ان يذكر من نوفمبر 1963م تلك الشخصية هى الرئيس الامريكي جون كنيدي خلال ساعتين من بعد اغتياله ، أصدر السيد محمد توجهين لكل واعظ يتبع الجماعة، طلب فيه عدم التعليق على حادث الاغتيال مطلقاً، وإذا سئل أحدهم فعلى الواعظ ان يجيب (لا تعليق!!).

وخلال الثلاثة ايام بهد هذا الحادث لم يكن هناك من اخبار سوى اخبار مقتل الرئيس ، وكان من المفترض ان يلقى السيد محمد اليجا خطابا في نيويورك ، وقد تم حظر مركز منهاتن لذلك الغرض ولكن تم الغاءه لما كان من الصعوبة استرداد المال والذي رفضاه مقابل الحجز ،طلب مني السيد اليجا التحدث باسمه فتحدثت!!

وكنت قد اعددت بعض نقاط الحديث صباحاً قبل اسبوعين تقريباً قبل حادث الاغتيال وكان عنوان خطابي هو " الحكم الالهي على امريكا البيضاء" وكان الموضوع بالنسبة لي عادياً ، ولكن وقد قمت بتلخيص الموضوع في هذا المثل أنت تحصد ما زرعته ! كيف حصد الرجل الابيض المناقض ، مازرعته يد كراهيته وحقد!!

وعندما بدأ الجمهور بالاسئلة ، وقف احدهم سائلاً ماذاذ تقول في اغتيال الريئس كنيدي؟! ما هو رأيك؟!

بعد تفكيري لثواني جاءت اجابتي تعبير مخلصاً عما كنت اشعر به فقلت ذاكراً القول المشهور (كما تزرع تحصد) ان الدواجنتعود الى موطنها الاصلي).

ان الكراهية والحقد واللذان زرعهما الرجل الابيض لم يعد يقتصد أثرهما على بعض السود ، ولكن هذه الكراهية انتشرت وتجاوزت السود، لتطال البيض ايضاً بل وتنال رئيس دولتهم. فعنونت الصحف مانشتات تقول (المسملم الاسود مالكم اكس: كما تزرع تحصد!!

لكم يزعجني ذلك عندما أفكر فيه الان في كل انحاء امريكا بل وفي كل انحاء العالم، كانت بعض التصريحات تصدر من بعض الشخصيات المهمة ، ويرددون نفس هذا الكلام وبلهجة قوية، أن مناخ الكراهية السائد في امريكا ، تسبب في مقتل رئيسهم ، ولكن هذا الكلام إذا صدر من مالكم اكس فهو نزير شؤم.

أقترب موعد زيارتي الشهرية للسيد محمد في مكان اقامته ، في داخل الطائرة توقعت حدوث شيء ما في هذه الزيارة وكنت دائماً أثق في قوة حدسي. تعانقنا وتصافحنا ولكن احسست ببعض النفور مخلفة حميمية معتادة هذه المرة. ثم شهدت وفاة لبعض التوتر ، لسنوات خلت كنت افتخر بصلتي الوثيقة بمستر محمد ، والتي كانت تجعلني أحس فيها بما يحس به ، إذا كان متوتر الأعصاب انتقلت العدوى إلي.

وإذا كان السيد محمد في حالة هدوء واسترخاء أكون كذلك في حالة هدوء ولكن الان أشعر بشيء من التوتر . في البدء تحدثنا عن بعض الامور ونحن نجلس في داخل غرفة المعيشة ثم سألني قالاً: (هل قرأت السحف هذا الصباح؟؟! قلت : نعم ! يا سيدي!!

ثم اضفت (لقد كانت تلك افادة غير موفقة !! كل القطر يحب ذلك الرجل . امريكا كلاهما في حالة حزن. هذا زمناً غير مناسب لمثل ذلك التصريح! إن تصريح كهذا، سيكون له عواقب سيئة على مكانة المسلمين.

ثم وكأن صوت السيد محمد ، خرج من مغارة بعيدة سمعت صوت كلماته: يجب علىّ أن أمنحك من الحديث لمدة تسعون يوماً! ذلك حتى ينأى المسلمين عن هذا الخطأ وتلك الهفوة.

جمد الدم في عروقي!!! وتسمرت في مكاني!! ولكن لما كنت احد اتباع السيد محمد كنت دائماً أقول لماوني ، ان كل شخص يحتل موقعاً يجعله مؤدباً ، عليه ان يؤدب نفسه أولاً.

فقلت للسيد محمد : سيدي أنا اتفق معك وانا أمتثل لأوامرك تماماً!!

طرت عائداً الى نيويورك ، وانا اجهزّ نفسياً، لخبار مساعدى في المسجد رقم (7) بأنني قد تم تعليق نشاطى أو تم اسكاتي!! وثبت عند وصولي الجمتني المفاجأة حيث علمت أنهم قد أخطروا بذلك وما أدهشني اكثر ان هناك تغراف ارسل الى كل صحيفة في مدينة نيويورك تقريباً وكل محطة راديو أو تلفزة لقد كان أسرع واعم وأشمل عمل دعائي يقوم به مسؤلو المنظمة بشيكاغو.

كانت التلفونات ترن، في كل مكان أذهب اليه تقريباً (لندن ، باريس كل محطة أو شبكة تلفزة أو راديو ، يتصلون ليعرفوا حقيقة الواقع، وكنت أرد (إنني قد خالفت أوامر السيد محمد ، ولكن الان انا أخضع لحكمه! نعم سوف اتحدث مرة اخرى بعد تسعون يوماً . وجاءت عناوين الصحف تقول (لقد تم اسكات مالكم اكس!!).

وكان همى الأول ، هو أنه اذا – لا قدرسه – ظهرت فضيحة تخص " أمة الاسلام" خلال التسعون يوماً ، سوف اكون مكمم الفم وذلك رغم انني الوحيد في منظمتنا الذي يمتلك خبرة كافية في التعامل مع وسائل الاعلام المختلفة والتي لا شك ، سوف تعمل على اثارة الفتنة بين المسلمين، مستقلة تلك الفضيحة . وعلمت شيئاً آخر ان قرار إسكاتي، كان شاملاً أكثر مما كنت أعتقد ، فقط مع الاعلام، بل حتى حظرت ، التحدث والوعظ والارشادج في مسجدي المسجد رقم (7).

أخبرت كانه اعضاء الجماعة، انه سيعاد النظر في مسئلة حظري، إذا امتثلت للأوامر لم لتسكع في الطرقات منذ سنوات ، كنت أشعر أن هناك أمراً ما يدور في الخفاء.

بعد ثلاثة أيام ، جاءت رد الفعل الاول من المسجد رقم(7) . جاء ذلك من أكثر المؤولين المقربين مني، إذا علمت ما فعله هذا الواعظ، لخرجت وقمت بقتله بنفسك.

ومن ثم علمت – كما كان الكل في المنظمة يعلم ان أي أوامر بالقتل – لا شك سوف يقرر من شخص واحد . شعرت بالدم يحّمر في عروقي . شعرت وكأن رأسي تحطمت ، ذهبت لرؤية (ليوانا A ترنرا) التي كانت طبيبة العائلة لسنوات، وهى تعمل في إبست هيرست Long Island . طلبت ان تقوم باجراء فحص كامل للمخ، قامت بفحصه ثم أخبرتني أنني امر بضغط كبير واحتاج للراحة. كنت قد تعرفت على الملاكم (كاسيس كلاى) ، وعلى ان أشكره لأنه وفي تلك الفترة ، وانا امر بتلك الظروف ، كان يزور (ميامي) ، يقوم ببعض التدريبات، ذلك استعداداً لمكافأة ملاكم آخر يدعى (سونى ليست) فقدم لىّ ولزوجتي والاطفال ، أن نحل ضيوفاً عليه، كهدية منه احتفالاً بعيد زواجنا السادس. كنت قد التقيت بكاسيس كلاى، في ديترويد عام 1962م، حيث كان يصحبه أخيه (رووولف) جاءا سوياً لحفل عشاء للطلاب السود بالقرب من مسجد ديترويد، حيث كان اليجا محمد سيقدم محاضرة في جمع كبير من المريدين. الكل كان معجباً ومبهوراً بهذا الثنائي ، هرول نحوي كاسيس وامسك بيدي مصافحاً ومعرفاً بنفسه كما عرفه العالم فيما بعد قائلاً (أنا كاسيس كلاى).

وقد كان يعرف بطريقة توحي، كأنني اعرفه من قبل ، لذلك تصرفت أنا بنفس الطريقة . وذلك على الرغم من انني لم أكن قد سمعت عنه حتى تلك اللحظة. فعالمنا مختلفان تماماً . فمحمد اليجا كانت له تعاليم، تحزرنا من كافة اشكال الرياضة . كان آل(كلاى) وأثناء حديث اليجا محمد هما اللذان يقودان التصفيق ، وكان هذا يثير اعجاب الجميع الحاضرين، ويؤكد اخلاصهما.

خاصة اذا علمنا أن تجمع العدد من الاتباع كهذا ، هو آخر مكان يمكن البحث فيه عن معجبين وجمهور يحب اللعبة.

لذلك كنت من وقت لآخر اعرف أن كاسيس يظهر في بعض المساجد والمطاعم الخاصة بالمنظمة والجماعة . واذا حدث وكنت اقوم بتقديم محاضرة على مسافة معقولة من اماكن تواجد (كاسيس) كان ياتي ويستمع لذلك أحببته ، كما احببت بعدوى (كاديراما) شخصيته، ، الأمر الذي جعله واحد من الناس القلائل والذين دعوتهم الى منزلي. فاحبته (بتي) زوجتى ايضاً . كما كان الأطفال يحبونه . وقد كان كاسيس شاباً محبوباً ودوداً ، واضحاً ومتواضعاً جداً، وقد لاحظت انه، كان ايضا متيقظاً وشديد الحرص والدقيق في أدق التفاصيل.

وكنت أشك ان كاسيس يمتلك خطة فيما يتعلق الى باظهار الفظاظة والخشونة، وقد أكدّ لي شكوكي، حيث كان بقوم بذلك كحملة نفسية ضد خصمه ، Sony Liston ، وليدفعه الى دخول الحلبة وهو في حالة غضب، و نقص في التدريب وثقة زائدة في النفس، متوقعاً الفوز من الجولة الأولى، بالضربة القاضية .

في المقابل لم يكن كاسيس فقط قابلاً لتقبل النصيحة بل يبحث عنها. وقد أثرت عليها عندما نصحته قالاً له : (إن أي نجاح شخصية عامة يعتمد الى حد يعيد الى يقظتها وانتباهها ومعرفتها التامة، خاصة بالناس الذين يتحلقون حولها، قلت له انهن ليسو " ثعالب" كما وضعهم هو بل " ذئاب" ان كانت هذه اول اجازة لزوجتي (بتي) منذ ان تزوجنا. كانت فتياتنا الثلاث الصغيرات يلعبن مع كاسيس، بطل الملاكمة للوزن الثقيل لا ادرى ماذا كنت سأفعل ، إذا بقيت في نيويروك في تلك المرحلة العصيبة، محاطاً بعوائق لا تتوقف عن صحافة متطفلة. وعدداً من الناس قلقون، يحدقون فيّ ويخمنون كما يعبرون عن اشفاقهم علىّ . كنت في حالة صدمة عاطفية. كان حالي أشبه بحال شخص ما، يعد تجربة زواج جميلة؟، دتم زهاء أقنتي عشر سنة، ثم فجأة وبعد افطارنا صباحا ، ألقى الطرف الاخر الأوراق على الطاولة وأرادت الطلاق.

شعرت وكأن شيئاً في الطبيعة فشل او توقف عن كالشمس أو النجوم. بدأ ليّ الأمر كظاهرة غامضة ولا يمكن تصديقها، لم اكن أفكر فيما حدث ، كنت أتحدث من افراد اسرتي وبعض أفراد أسرتي وبعض الاشخاص الاخرين، حول معسكر كاسيس،حول منزل رهابتون هاوز. وكنت أتفوه بكلمات ، لا تعني شيئاً ، بينما الكلام يتحكم فيه جانب صغير من عقلي بينماالجانب الآخر منه، منشغل بالآلات والمشاهد والاحداث التي مرت علىّ خلال الاثنتي عشر سنة الماضية – مشاهد في مساجد المسلمين – مشاهد تجمعي بالسيد محمد.. وأخرى تجمعي بأفراد اسرية ومشاهدمع الجمهور ، واخرى مع الصحافة.

تمشيت ، تحدثت، وقمت ببعض الاعمال ، قلت مراراً الصحفيين الرياضيين في معسكر كاسيس إنني بدأت تدريجياً أدرك أنه توجد دواعي كذبة!. إنني سأعود لممارسة نشاطي بعد تسعون يوماً. ولكنني من ناحية نفسية لم أكن مهيئاً ، على مواجهة الحقيقة ، وهى أنني ومنظمة أمة الاسلام قد وقع بيننا طلاقاً جسدياً ، هل تفهم ما أقول؟! أن ورقة طلاق موقعة من قاضي يمكن ان تمنح طلاقا جسدياً لا رجعة فيه. ولكن كليهما أو لأحد الاطراف بسبب أن الزواج كان حميمياً بأن مسألة طلاقهما النفسية ستأخذ سنواتحتى يندمل الجرح.

أما فيما يخص جانب الطلاق الجسدي فلا مهرب من الاعتراف بموجود مؤامرة واستراتيجية تدبر في شيكاغو، تهدف الى اقصائي من منظمة أمة الاسلام وربما من هذا العالم . شعرت بأنني أدرك تفاصيل المؤامرة ، الكل في المنظمة يعلم أن افادتي السابقة حول مقتل كيندي (كما تزرع تحصد) كان مجرد مبرر وزريعة ، لتنفيذ تلك المؤامرة للتخلص منى. وقد اتخذت الخطوة الاولى في تلك المؤامرة.

أصبح لدى المسلمين انطباعاً بأنني قد تمردت على السيد محمد، ويمكن الآن التكهن بالخطوة الثانية ، سأبقى لفترة موقوف، وفيما بعد سيتم عزلي بشكل غير محدد.

أما الخطوة الثالثة ستكون إما بتحريض بعض الأخوة الغير مطلعون على حقيقة الأمر ، بالقيام بقتلي، على اساس أنه واجب ديني!! أو عزلي تماماً ، إلى أن اختفي من المشهد العام تدريجيا!

لم يكن هناك أحد يعرف ذلك غير زوجتي ولا يمكن أن أتصور إنني كان يمكن أن اعتمد على شخص أستمد منه القوة والثقة غير زوجتي (بتي)!! ، لا حديث بيننا (بتي) لم تقول شيئاً، . لقد كانت من عيار هؤلاء النسوة اللائي يمتلكن عمق في الفهم والادراك ولكن كنت أشعر بارتياحها. كنت أدرك انها مخلصة ومؤمنة بالله تعالى مثلي تماماً كما كنت أعلم انه مهما حدث لي فستكون الى جانبي.

لم يكن يخيفني حديث الموت في تلك اللحظة وطوال الاثني عشر سنة التي أمضيتها عضواً في المنظمة، كنت دائماً على استعداد لاضحي بحياتي من أجل السيد محمد. ولكن ما هو أسوأ من الموت الخيانة. يمكن أن أفهم القتل أو الموت ولكنني لا أفهم الخيانة، وان تكون الخيانة موجهه لشخص كان غاية في الاخلاص والوفاء لأمة الاسلام وللسيد محمد خلال الاثنتي عشر سنة الماضية ، إذا حدث ان ارتكب السيد محمد أي مخافة مدنية عقوبتها الاعدام، كنت سوف أقر لاثبت انني انا الفاعل الحقيقي، لانقاذه واذهب الى الكرسي الكهربائي لمواجهة الموت ، كخادم مخلص للسيد محمد.

كنت ضيفاً لكسيس كلاى في ميامي، حاولت يائساً أن أبعد مشاكلي الخاصة عن عقلي، وأركز على مشاكل امة الاسلام. مازلت أكافح لاقناع نفسي بمسألة (إتمام النبؤة ورسالة السيد محمد)، لكنني كنت أؤمن ان السيد محمد لم يكن إلهاً ، فهو أقرب الى ذلك) . بدأت عقيدتي تنهار، حاولت أن أخفي و اهرب من مواجهة الحقيقة المُرة ، ذلك أن السيد محمد بدلاً من مواجهة ما حدث امام مريديه، كنوع من الضعف البشري ، واكمالا لنبوئته و التي لا شك كان سيتفهما الاتباع ، وعلى الأقل يتقبلونها واكن بدلا عن ذلك سعى السيد محمد على اخفاء

وتغطية ما قام بفعله . كانت هذه هى أكبر صفعة منذ تلك اللحظة بدأت أدرك أنني كنت أؤمن بالسيد محمد ، أكثر من ايمانه هو بنفسه.

منذ ذلك الحين، وخلال الاثنتي عشر ، لم أكن أفكر في نفسي ولو لمرة واحدة و مدة خمس دقائق، اصبحت الآن أخيراً امتلك القوة لمراجعة الحقيقة، ألا وهى التفكير في نفسي.

غادرت فلوريدا لفترة قصيرة للعودة الى (بتي والاطفال في منزلنا (Long island)علمت أن المسئولين في شيكاغو غاضبون جداً مني بسبب ما ورد في تقارير صحفية ، تحدثوا عن زيارتي لمعسكر كاسيس كلاى) قالوا ان كاسيس ليس له أي فرصة بالفوز وقالوا ان منظمة امة الاسلام ستشعر بالحرج بربط صورة المسلمين باكسيس(ولا ادري ماذا سيقول البطل كلاى الآن، عندما يتذكر ان البطل كلاى إن كل الصحف كانت ممثلة الصحف وموجودة في داخل الحلبه، قبل المباراة ، ما عدا صحيفة (محمد يتحدث) ، ذلك رغم ان كاسيس كلاى) كان مسلماً .

لم تعتبر صحيفة المسلمين الوحيدة ان ماراته تستحق التغطية. عدت مرة اخرى الى (ميامي) وأنا يتملكني شعور ان ارادة الله تقتضي منى مساعدة (كلاى) لاثبات تفوق الاسلام، من خلال اثبات أن العقل سينتصر على قوة العضلات. ولا احتاج الى تذكيركم كيف كان الناس سيسخرون من فرص (كلاى) في هزيمة(لستن).

جلبت معي هذه المرة من نيويورك بعض الصور لفلويد باترسون و(سونى لستر) وهما في معسكر التدريب الخاص بهما، يظهر فيها بعض القساوسة البيض وهم يقدمون نصائح روحية للملاكمين ولمّا كان (كاسيس كلاى) مسلماً، لم يكن من الضروري أخباره كيف تعاملت المسيحية البيضاء مع الزنوج الامريكان.

قلت لكاسيس (هذه المعركة هى في الحقيقة! معركة بين الصليب والهلال، ولكنها سوف تدور داخل الحلبة لأول مرة. أنها حروب صليبية حديثة، بين المسيحيين والمسلمين وستنقل

عبر شاسات التلفزة، ليشاهدها كل العالم. قلت (كاسيس) ،(تعتقد أنّ الله قدر ذلك عبثاً أم أنه أراد لك أن تغادر الحلبة بطلاً؟؟ لعلكم تذكرون انه واثناء القيام بعملية الوزن للبطلين ، كان كاسيس يردد بأعلى صوته (لقد تم التنبؤ ليَّ بأنني سوف أنتصر، ولن أهزم!!.

إن الهدف الحقيقي للذين يُدبرون حملة (sonny –liston) ، يقدمون لهم النصائح هو إدماجه في المجتمع الامريكي الابيض ،أكثر من كونه يعدّونه لملاقاة (كاسيس كلاي) . وضح ذلك جلياً ، قام بتأجير منزلاً فى حي غني يسكنه اثرياء بيض، ولاعطاءك فكرة، بأن المنزل والذي يوجد في نيويورك يملكه،لالب بيزبول Baseball يدعى (دات توباً) Dan Topping وكنا أنا و (كاسيس) حينما نقوم بجولة مسائية في حي تغطية، أغلبية سوداء، نسمع همساً، حيث يقول البعض، ما الذي يجعل (كاسيس) يختلط بالزنوج مثله يفضل كل الملاكمين كل الملاكمين الاختلاط بالبيض.

مر اخرى كان (كاسيس) يدهش هؤلاء الزنوج بقوله (انتم اهلى وعشيرتي، وانا استمد قوتي من ابناء جنسي؟!، إن ما ينتظر سونى لستون في الواقع، هو مصير رهيب وخوف عظيم، يمكن ان يواجه أي شخص. لأنه سوف يلاقى شخصاً يعبد الله ولا يغش أحداً غيره، حجزت المقعد رقم (7) من بين مقاعد قاعة الكنفشن الكبرى في (ميامي) والبالغة أكثر ثمانية الف مقعد.

والرقم (7) كان دائماً هو رقمي المفضل والذي أصطحبني طوال حياتي. ولذلك اعتبرت ان ذلك فألاً حسناً، وإلهاماً من الله تعالى، بأن (كاسيس كلاى) لا محال منتصر. ولكني كنت قلقاً على اخيه رودلف الذي سوف يخوض مباراته الاولى في الدوري التمهيدي، في القوت الذي فاز فيه رودلف في الجولة الرابعة على المنافسة، وهو زنجي يدعى (جب) Chip جونسون) كان (كاسيس يقف ويشاهد ذلك في مؤخرة القاعة، وهو يرتدي بدلة رسمية انيقة . بعد ، كل ذلك النشاط الذي بزله (كاسيس) فان هدوئه الان، لعله جعل بعض الصحفيين الرياضيين ، يسلبونه فرصة بالفوز وربما تكهنوا بهزيمتة. ثم انسحب كاسيس فجاة من القاعة،

وذهب الى غرفة تبديل الملابس للاستعداد لملاقاةغريمه (لستون) وكما كان متفق بيننا فقد تبعته الى هناك،حيث دعونا الله معاً أن يمنحنا النصر.

أخيراً وقف كل واحد في زوايته داخل الحلبة، جلست في مكاني وتكتفت، حتى أبدو هادئاً قدر المستطاع، لأنه اذا صارت ان وجه اليك أحد المصورين كمرته، وسيظهرك كأبله وأنت تصرخ مشجعاً في مباراة كهذه . فيما عدا دخول كماويات أو ربما بعض العرق في عين كاسيس الأمر الذي جعله لا يرى بوضوح، في الجولات الرابعة والخامسة، إلا ان المبارة سارت وفقاً للخطة . كان كاسيس يتجنب ضربات (لستون) القوية في الجولة الثالثة ، بدأ التعب والارهاق ، يؤثر على لستون العجوز، والذي وضح جلياً أن دُرب بثقة زائدة، للاستمرار لجولتين فقط، ثم بدأ لستون البائس يفقد السيطرة على المبارات. أحد أعظم اسرار هذه المباراة التاريخية، هو أنه وقبل شهور من تلك الليلة، أن كلاى قد تفوق على لستن، فكراً. كان الحفل الذي اقامه البطل الجديد هادئاً .جاء الى فندق ملك الحلبة الصبي. تناول بعض الآيس كريم ، وشرب بعض الحليب، وتحدث الىّ نجم كرة القدم (جيمي براون)وبعض الاصدقاء والصحفيين. ثم أخذ غفوة سريعة على سريري ، قبل أن يغادر الى منزله. تناولنا وجبة الافطار ، صباح اليوم التالي، وذلك قبل المؤتمر الصحفي، والذي أعلن فيه كاسيس بهدوء أنه مسلماً أسوداً، الذي أحتل عناويين الصحف عالمياً، ولكن هناك أمراً مهماً. كاسيس لم يعلن انه، عضواً في جماعة المسلمين السوداء، ولكن الصحافة اختلقت ذلك فما قاله. ذلك لأن ما قاله هو (انا اؤمن بدين الاسلام، والذي يعني ، إنني أؤمن انه لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا هو نفس الدين، والذي يعتنقونه أكثر من سبعمائة مليون من البشرة الداكنة في افريقيا وآسيا).

لم يكن هناك أسخف في خضم هذا السخط الذي اعقب كلام كاسيس من إعلان (فلويد باترسون) الكاثوليكي رغبته في منازلة كاسيس كلاى،حتى ينقذ تاج بطولة الملاكمة للوزن الثقيل، من قبضة شخص مسلم. وكانت هذه حالة محزنة، أن يعلن مسيحي غسل مخه،

ويبدي استعداده، لخوض معركة من أجل الرجل الابيض ، والذي لا يأبه به كثيراً. بعد اسابيع أوردت صحيفة ، أنه وفي يونكرز Yonkers (نيويورك) أن باترسون ، عرض منزله للبيع بمبلغ 140.500 الف دولار بخسارة تقدر 20.000 الف دولاراً. ومن ثم انتقل الى حي يسكنه بيضاً، الذين جعلوا حياته تعيسة . ولم يكن أحداً ودوداً معهم، كما تعرض اطفاله الى الشتم والسب،حيث كان الاطفال ينادونهم بالعبيد) Niggers وقام بعض جيران باترسون بتدريب كلبه، على كيفية تخريب ممتلكات باترسون ، بينما بنى جاراً آخر سوراً حتى يمنعه من رؤية جيرانه الزنوج، مما دفع باترسون الى القول للصحافة(لقد حاولت الاندماج ولكنني فشلت؟؟؟ ، صدر الأمر المباشر في مسجد رقم (7) وسينفذ ذلك احد مساعدي المقربين وأخ له خبرة بالمتفجرات وقد طلبوا منه ان يقوم بتلغيم سيارتي وذلك عندما اقوم بتشغيل الماكينة تنفجر السيارة، ولكن كان لهذا الأخ ولاءاً كاملاً للمنظمة، رفض تنفيذ هذا الأمر، بدلاً عن ذلك جاء وأخبرني بحقيقة ما يدبّر ويجرى في شيكاغو، واخبرته فذهل بشكل لا يصدق.

وكان لهذا الاخ علاقة تربط بآخرين في دوائر المسجد(7) والذين سوف يتم استدعائهم اخيراً للتخلص منيّ . قال ليّ أنه سوف يبذل ما في وسعه ، لتنوير الآخرين حتى لا يتم استغلالهم في هذه المؤامرة.

ولقد وضح لي من هذا الأمر بقتلي المباشر إنني وصلت اخيراً إن طلاقي النفسي من أمة الاسلام قد بدأ بالفعل وبدأت ألاحظ حيث ما ذهبت في الشوارع في اماكن العمل داخل المصاعد وعلى ارصفة الشوارع وداخل السيارات المارة، تغير وجهة الاخوة المسلمين والذين يعرفونني ،كنت أدرك أن أي واحد منهم، لعله ينتظر الفرصة المناسبة لاطلاق رصاصة علىّ . كنت أرهق نفسي بالتفكير ماذا سأفعل؟؟! حياتي مرتبطة بالانفصال ، بمسيرة كفاح الرجل الاسود الامريكي؟؟ وقد ظللت لسنوات أعتبر قائداً وكنت أهاجم بعض ما يسمى (بالقادة السود) بسبب سلبيتهم وتقصيرهم. والآن جاء دوري لأسأل نفسي بصدق ماذا يمكن أن قدم؟ هل أنا حقيقة مؤهلاً لمساعدة السود في كفاحهم، لنيل حقوقهم الانسانية؟؟.

عندي ما يكفي من خبرة، فأنا مثلاً أعرف أنه اذا أردت أن تكون قائداً عظيماً وتتوقع النجاح الذي يشملك أنت بالطبع ينبغي عليك أن تقوم بتحليل الحقائق المجردة رياضياً، انا امتلك ميزة واحدة، وهى شهرتي العالمية، هى لا تقدر بثمن فاذا حدث ان قلت شيئاً يستحق النشر، فإن الناس سوف تقرأه وتستمع اليه، حول العالم وهذا يعتمد على ما هو هذا الشيء.حتى هنا في مدينة نيويرك القريبة،حيث يمكن أن أجعلها مقراً لأعمالي ، عندي فيها عدداً من الاتصالات باشخاص حتى من غير المسلمين.

وقد نجحت في بناء ذلك منذ حادثة وقعت قبل سنوات عندما تزعمت مسيرة احتجاجية وتوجهنا الى مركز الشرطة، وذلك عندما تم توقيف وضرب الاخ هنتون و المئات من الزنوج في هارلم راوا، والمئات والالاف منهم، رأوا وسمعوا وشاهدوا انه كيف يمكن للزنوج انجاز أي شيء ، اذا واجهوا الرجل الابيض دون خوف ولا وجل!!.

كل من هارلم شاهد انه ومنذ ذلك الحين، أصبح رجال الشرطة يحترمون المسلمين وذلك عندما قال لهم نائب المفتش في القسم بشارع 28^{th} (لا احد يملك مثل تلك القوة!!).

خلال السنين المقبلة ، اصبح لدى كل انواع الادلة ان نسبة عالية من الزنوج في نيويورك يمكنه أن ينفذوا ما أقوله لهم، وهذا يشمل عدداً آخر، قد لا يصرحون بذلك. على سبيل المثال ، من وقت الى آخر، واذا حدثت أو اقمت حشداً في الشارع، فسوف يحتشد عدداً كبيراً يفوق عشرة الى اثنتي عشر، يفوق العدد الذي يمكن أن يتجمع لمن يسمون (بالقادة الزنوج). أنا اعلم انه وفي أي مجتمع، القائد الحقيقي، هو يمتلك ويستحق عدداً من الافكار التي يستمتع باعتناقها الاتباع الحقيقيون، ووجود الجماهير الذين يمنحون انفسهم بارادتهم حرية الاختبار.

كنت اعلم ان العدد الاكبر من من يسمون (قادة الزنوج) يفتقدون الى اقامة صلات حقيقية مع زنوج الاحياء الفقيرة). وكيف يخلقون صلات وعلاقات معهم ، وهم يمضون معظم اوقاتهم

في الاندماج مع البيض؟! ان زنوج في الاحياء الفقيرة يعلمون أنني لم اغادر لا روحياً ولا حتى جسدياً أحيائهم فأنا امتلك غريزة تربطني بالاحياء الفقيرة. وكنت اعلم متى يبلغ التوتر حده الطبيعي في تلك الاحياء . كما كنت اتحدث وأفهم لغة تلك الاحياء.

وأذكر مثالاً على ذلك ، لا يمكن نسيانه، كما سمعت هنا الاسم الكبير (قادة الزنوج) وهم يزعمون اهم يتحدثزن باسم ساكني الاحياء الفقيرة من السود.

بعد احد التجمعات في شارع في هارلم ، وكنا أنا واحد هؤلاء القادة وسط المدينة نتحادث ، عندما اقترب منا، متسكع ومروج للمخدرات، وحسب علمي، فإن هذا الشخص لم يسبق أن رأيته من قبل ، قال (أنه علم أن المسلمين ينوون فتح بازار خاص بالسود فقط، في منطقة Rock land palace في مكان كان في السابق قاعة للرقص، قال المروج انه ينوي رهن بدلة مقابل عشرة دولارات للحضور الى البازار والتعامل معه، ولكنه لا يملك الكثير من النقود ولكنه سيبذل ما في وسعه للحصول على بعض المال ، وانه سوف يذهب لتناول بعض الطعام ثم يخلد الى النوم).

قال ذلك ثم انطلق الى الشارع رقم سبعة، وفي أثناء ذلك كان ذلك القائد من وسط المدينة يقف ويحدق في ذلك المروج، يعود كانه سمع للتو، (اللغة السنسكريتية) وهى اللغة الهندية الفصحى) فسأل ماذا قال؟! فأخبرته وترجمت كلام ذلك المروج.

والنقطة التي أثيرها ، هو انني كقائد استطيع ان اتحدث عبر مايكرفونات - NBC CBC -ABC في (هارفرد) ،كما انني يمكن أن أتكلم مع ما يسمى الطبقة الوسطة من الزنوج، وكذلك استطيع ان اتحدث واتفاهم مع زنوج احياء الفقيرة (والذي لا يتحدث ولا يتفاهم مع بقية القادة الزنوج ، بل يتحدثون عنهم). وذلك لأنني كنت فترة من حياتي اتسكع وأروج للمخدرات، وأنا اعلم من كل البيض وأعلم افضل من كل هؤلاء القادة السود، ان زنوج الاحياء الفقيرة المتسكعون ، هم أخطر السود في امريكا. لماذا أقول ذلك؟؟!.

أن الزنجي المتسكع والمروجّ، وهو يعمل وسط غابة لا يوجد فيها قانون، يحمل القليل احترام الهياكل القوة البيضاء، من أي زنجي آخر في شمال امريكا، حيث لا توجد أي قسوة عليه، ليس له دين ولا عقيدة ، ولا تصور أخلاقي، ولا مسئولية مدنية، ولا يخشى شيئاً، ولكي يعيش ويبقى ، فهو يهيم في هذه الغابة، يفترس ويفتك بالاخرين ، يبحث عن ضحاياه كحيوان قارض.

إن المروج والذي يعيش في الاحياء الفقيرة، دائماً محبط ، قلق للقيام بأي عمل، وكلما أخذ على عاتقه على عمل شيء يقوم به بشكل كامل ومطلق وما يجعل متسكعو مروجو الاحياء الفقيرة اكثر خطورة هذه الصورة الساحرة الذي يخلعها على هؤلاء الشباب السود والذي تركوا المدارس.

إن هؤلاء المراهقون السود ينظرون بعين الخيبة لآبائهم، في نضالهم ضد البيض والذي قادهم الى لا شيء! أو يرون أن آبائهم قد تخلوا عن النضال والكفاح، وفي عالم البيض الغير متسامح والمنحاز ضدهم ، فان هؤلاء المراهقون في الاحياء الفقيرة ، ينظرون بعين الاعجاب الى المروجّين ، ويعتبرونهم قدوتهم ، بملابسهم الانيقة واموالهم المبهرجة، وعدم اظهارهم لأي نوع من الاحترام لأي شخص أو شيء، لذلك فإن هؤلاء الشباب والمراهقين اصبحوا أكثر انحيازاً من المروجون وعالمهم ، عالم المخدرات والحشيش والسرقة، والدعارة والجريمة، والغش.

ما أفزعني في البداية عندما رأيت هؤلاء المراهقين الخطرين، هى قدرتهم على اشعال العنف، وظهر ذلك في صيف يوم قائظ الحر، كنت أحضر تجمعاً وحشداً كبيراً في شارع (هارلم) وكان يوجد عدداً كبيراً من هؤلاء المراهقين، وقد تم دعوتي الى الحشد ، عن طريق أحد القادة السود، الذي كلا لا يتحدث معي مطلقاً، ولكني كنت اعلم ان هؤلاء القادة استخدموا اسمى لحشد الناس، وكنت كلما فكرت في ذلك وانا متجه نحو الحشد، اشتاط غضباً وعندما

وصلت الى المنصة ، قلت للحشد انني حقيقة غير مرغوب في وجودي هنا، وانه فقط استخدم اسمي – ومن ثم نزلت من المنصة وغادرت.

حسناً!! لماذا قمت بذلك !؟! لماذا؟!! لقد غضب هؤلاء الشباب وبداوا يتدافعون ويصرخون مما ازعج كبار السن من الزنوج والذين كانوا في الحشد ثم توقف انسياب المواصلات، حدث ازدحام في اربعة اتجاهات حيث بدأت امزجة هؤلاء الشباب تزداد سوءاً ، الأمر الذي ازعجنى. صعدت اعلى السيارات وبدأت في تهدئة الموقف وأنا ألوح بكلتا يدي، فهدأوا ، ثم امرتهم بالتفرق فتفرقوا.

وكان هذا عندما بدأ الحديث عني باعتباري كالأمريكي الاسود عنى الوحيد الذي يستطيع ان يوقف..أو أن يبدأ ويوقف عنف عرقي ، ولكن لا أظن في مقدروي فعل أي شيء من ذلك.

ولكني اعلم شيئاً واحداً تعلمت من هذه التجارب أن احترام القدرة الانسانية لاشعال العنف الكامل بين هؤلاء المروجون، ومجموعة المراهقين الذين يسكنون الاحياء الفقيرة، والذين قام بعزلهم الرجل الابيض بعيداً عن البيض لمئات السنين.

في صيف حار عام 1964م وفي هارلم ، وفي مدينة روشستار وغيرها من المدن التي حدثت فيها تلك الاحداث والتي اعطتنا فكرة عن ما يمكن أن يقع بمجرد فكرة وقد تم احتواء احداث شغب داخل احياء الذنوج . فاذا سمح لهذه الاحياء الزنجية المشتعلة الموجودة في كل ارجاء الولايات المتحدة ان تتلقى الاشارة بالتحرك ووصل اللهيب الى هذه الاحياء وانفجرت خارج حدودها الى حيث يسكن البيض.

ففي مدينة نيويورك مثلاً اذا سمح للزنوج بالتدفق خارج هارلم ومن ثم عبروا سنترال بارك ومروا من خلال نفق ماديسون حتى وصلوا الى الشارع رقم (5) وساروا عبر ليكستون حتى شارع المنتزه – أو اتجهوا جنوب شيكاغو حيث توجد أخطر وأبشع الحياء العشوائية – وساروا الى داخل وسط مدينة شيكاغو. أو في واشنطون ديسي العاصمة ،اذا تمكن

الغاضبون السود من السير في شارع بنسلفينيا وفي ديترويد ، رأيت من قبل مسيرات مسالمة تضم مئات الآلاف من السود فكر في ذلك! ويمكن ان نسمى مئات المدن عبر الولايات الامريكية المتحدة نسميها ناسف اجتماعي أسود في كليفلاند ولوسا نجلوس وسانفرانسيسكو وفلادلفيا ، إن غضب الرجل الاسود هناك يختمر وفي حالة هياج وثورة! وقد مرت عليَّ بعض الحوادث والاوضاع التي علمتني احترام والتحسب للخطر الكامن في تلك الاحياء الفقيرة. وكنت احاول ان اشرح بأمانة شديدة وأقدر مؤهلاتي التي تستحق التقدير ، لتقديم نفسي كقائد مستقل وسط السود . وفي النهاية اقتنعت بأن القرار قد تم التوصل اليه من قبل حيث منحتني جماهير الاحياء الفقيرة السوداء الثقة ، وجعلتني قائداً لها. وأنا اعلم ان جماهير الاحياء الفقيرة تعطي نفسها فقط للشخص الذي لا يظهر لها انه سيبيعهم الى مؤسسة الرجل الابيض ، وأنا ليس لديَّ حتى رغبة في ذلك، بل إن مسألة البيع هذه ليست من طبيعتي.

شعرت بشيء من التحدي وانه لابد من وضع خطة لبناء منظمة يمكن ان تساعد في علاج الرجل الاسود والذي يعيش في شمال امريكا والذي يعاني من ذلك المرض الذي جعله قابعاً تحت كعب الرجل الابيض.

إن الرجل الاسود في شمال امريكا يعتبر مريضاً عقلياً وذلك لتعاونه وقبوله الأخرق لثقافة الرجل الابيض. إن الرجل الاسود في شمال امريكا يعتبر مريضاً روحياً، وذلك لأنه ظل لقرون يعتنق المسيحية وهى ديانة الرجل الابيض– والتي تطلب مما يسمى بالمسيحي الاسود أن يتوقع أخوة انسانية حقيقية ، ولكن عليه تحمل قساوة المسيحي الابيض.

إن الديانة المسيحية جعلت من السود مشوشين ومرتبكين في تفكيرهم. كما علمت المسيحية الرجل الاسود، انه اذا كان حافيا هنا في الارض ويتضور جوعاً فانه لا شك سوف يحصل على الاحذية والحليب والعسل والسمك المشوي في الجنة.

إن الرجل الاسود في شمال امريكا مريض اقتصادياً ويظهر ذلك في حقيقة واحدة بسيطة واحدة، فهو مستهلك بالدرجة الاولى، كما انه يحصل على اقل من نصيبه وكذلك كمنتج فهو يساهم بالقدر الاقل كذلك . إن الامريكي الاسود اليوم، يعطينا صورة تظهره متطفلاً وهو يعيش في وهم انه يحقق تقدماً لأنه يرضع من ثدي بقرة حلوب سمينة تسمى امريكا البيضاء.

و على سبيل المثال ينفق السود سنوياً حوالي ثلاثة بليون دولار في شراء سيارات في الوقت الذي لا يوجد فيه في امريكا اسود واحد يحمل ترخيصاً أو امتياز للاتجار في السيارات. كما ان 40% من الويسكي الاسكتلندي الغالي الثمن يستهلكه السود من الطبقة الوسطى، بينما مصانع الخمور الوحيدة التي يمتلكها السود، توجد بعيدة هنالك بعيداً في بعض الغابات.

والفضيحة المخجلة انه لا يوجد في مدينة نيويورك – والتي تضم حوالي مليون اسود– لا يوجد حتى عشرين مشروع اقتصادي يملكه السودولا يوظف اكثر من عشرة منهم. وذلك لأن الزنوج لا يستطيعون ان يديروا حتى البقالات الصغيرة، ولا يستطيعون ان يحققوا حالة من الاستقرار الاقتصادي داخل مجتمعاتهم.

كما ان الرجل الاسود في شمال امريكا مريضاً سياسياً، عندما سمح للرجل الابيض ان يحدث انقساماً بين الزنوج وذلك بجعل بعضهم يسمون انفسهم بغباء ديموقراطيين سود – والبعض الاخر جمهوريين سود أو ليبراليين سود بينما في الواقع إذا قام السود وهم عشرة ملايين بالتصويت ككتلة واحدة، يمكن ان يغيروا موازين القوة في السياسة الامريكية. وذلك لأن البيض منقسمون على انفسهم.

إن الاقتراع وهو احدى الوسائل التي تمكن أي رجل أسود أن يسلكها في النضال من أجل قضية السود بكرامة، وبالسلطة والأدوات التي يفهمها ويحترمها ويخشاها ويتعامل معها الرجل الأبيض.

إسمعني جيداً أقول لك شيئاً؟ إذا خاطبت لجنة تمثل كتلة السود بواشنطن أشد جهه كراهية للعبيد إننا نمثل حوالي عشرة مليون صوت، فسوف ترد واشنطون قائلة لماذا؟ ومن ثم تقفز قائلة حسناً حسنا .. كيف حالكم .. ! تعالوا الى هنا ! . ماذا لو صوت السود في ولاية المسيسبي ككتلة واحدة، فإن انجلترا الشرقية سوف تصير اكثر ليبرالية من جيكوب جافنتس الليبرالي نفسه ، وإلا لماذا يناضل السياسيون العنصريون من اجل ابعاد السود عن صناديق الاقتراع؟ وعندما تفشل أي مجموعة في التصويت ككتلة موحدة ، وبالتالي تقرر نتيجة الانتخابات تصبح تلك المجموعة مريضة سياسياً. لقد نجح المهاجرون مرة في جعل المهاجر تامي هول أكبر قوة في السياسة الامريكية. وفي عام 1880م استطاعت مدينة نيويورك أن ترشح اول كاثوليكي آيرلندي لمنصب عمدة لها. وبحلول عام 1960م رشحت امريكا أول رئيس دولة كاثوليكي من أصول آيرلندية. فإذا صوت السود في امريكا ، ككتلة متوحدة فيمكن أن يحققوا قوة وسلطة عظيمتين.

إن السياسة الامريكية تحكمها قوانين المصالح الخاصة للكتل السياسية والمجموعات الضاغطة، وهل هناك مجموعة في امريكا لها مصالح خاصة وملحة وتملك كتلة سياسة ضاغطة أكثر من الزنوج؟ ، إن طبقة العمال تملك أكبر مبنى غير حكومي في وشانطون يقع قريباً من البيت الابيض. ولا يمكن تصور أي تحرك السياسي من غير أن تكون مجموعة العمل الضاغطة خلفهم. مجموعات البترول الضاغطة لا تخفى على أحد.

إن المزارع الامريكي ومن خلال مجموعته الضاغطة والتي تعتبر أكبر مجموعة ذات مصالح خاصة في أمريكا اليوم والممولة من الحكومة تضم اصوات الملايين من المزارعين. ليس كديموقراطيين أو جمهوريين ولا ليبراليين. ولا محافظين. ولكن كمزارعين

والاطباء كذلك لهم مجموعة ضاغطة تعبرعن مصالحهم الخاصة تتمثل في التأثير والكفاح من اجل برنامج "الرعاية الطبية"والذي يحتاجه الملايين من الناس. وهناك مجموعة ضاغطة تخص مزارعي البنجر وكذلك مزارعوا القمح! ومربّو الماشية!! وهناك مجموعة

ضاغطة لرعاية مصالح الصين في أمريكا!! بل هناك مجموعة تضغط لتؤثر على سياسة الولايات المتحدة الامريكية لدول صغيرة جداً لم نسمع عنها، من اجل أن تحمي لمصالحها الخاصة، والحكومة لها مؤسسات وجهات تعمل في التعامل مع هذه المجموعات الضاغطة ذات المصالحة الخاصة التي يرتفع صوتها وتشعر الحكومة بوجودها هناك، ووزارة الزراعة مثلاً ، للتعامل مع المزارعين ، وهناك وزارة الصحة، والتعليم ، والرعاية، هناك وزراعة الداخلية، والتي يُمثل لها الهنود الحمر.

هل مشكلة امريكا اليوم، هى مشكلة المزارع، ام الطبيب، أم مشكلة الهنود الحمر؟؟ لا .... ان مشكلة امريكا اليوم هى مشكلة الرجل الاسود!! لابد من وجود بينتاقون خاصة في واشنطون، يتعامل مع كل جانب من جوانب مشكلة السود في امريكا!! حوالي عشرون مليوناً من السود!! منحوا امريكا خلال الاربعمائة سنة الماضية .و نزفوا دمائهم الطاهرة، بل وماتوا في كل المعارك، منذ قيام الثورة وهم موجودون في امريكا قبل مجيء " الحجيج" وقبل الهجرات الكبيرة – ولكن مازالو حتى اليوم، في قاع المجتمع الامريكي!! لماذا !! يدفع اثنان وعشرون مليون زنجي، غداً دولاراً واحداً من اجل بناء ناطحات السحاب في واشنطون العاصمة، على كل مشروع أن يتلقى كل صباح اتصال ، فيما يتعلق باحتياجات ورغبات الرجل الاسود في امريكا. إن صوت المطالبة الملح والمعبرّ عن طموحات الرجل الاسود لابد أن يصدع به في أذن كل مشرع ، يريد أن يصوت في أي مسألة. ان الاقتصاد والقوة والسلطة السياسية هما عماد واساس أي عمل في هذا القطر. والرجل الاسود لا يملك أي قوة اقتصادية وسيأخذ ذلك زمناً طويلاً لبنائه ولكن الرجل الاسود الآن يمتلك قوة سياسية لتغيير مصيره في ليلة واحدة.

إن المنظمة والتي أنوي إنشاءها ستعين السود في امريكا ، لكسب حقوقهم الإنسانية، واصلاح ومعالجة اسقامهم العقلية والروحية والاقتصادية والسياسية. ولكن اذا كنت تنوي فعلاً في عمل جديرة بالاستحقاق والثقة، عليك كذلك أن تضع خطة جديرة بالاستحقاق والثقة، وبشكل اساسي، فان هذه المنظمة ، التي آمل في انشاءها أراها تختلف عن منظمة " أمة

الاسلام" وذلك لأنها ستضم، زنوج من مختلف المشارب والعقائد، وسنعمل على ممارسة، ما كان منظمة الاسلام، تدعو اليه وعظاً وارشاداً فقط.

انطلقت الاشاعات، خاصة في مدن الساحل الشرقي، كانت تدور حول ما أنوي القيام به، حسنا!! أول عمل، سأقوم به هو جمع واجتذاب أكبر عدد من الرؤوس المخططة والايدي العاملة. في كل يوم الكثير من الاخوان المناضلين والذين كانوا معى في المسجد رقم (7) يعلنون انفصالهم عن امة الإسلام" ويأتون اليَّ كل يوم، اعلم بطريقه أو بأخرى بدعم وسند يأتي من غير الزنوج الغير المسلمين وفيهم اعدادا كبيرة من طبقة الزنوج الوسطى وكذلك من الطبقة القليلة من البرجوازيين السود ، والذين ملو من وضعهم المميز ، وكان هناك أصوات ترتفع متسائلة (متى ستدعو الى أول اجتماع؟ وننتظيم؟).

لعقد اول اجتماع قمت بتأجير " كارفر بول روم" في فندق تيريزا والذي يقع في ناصية رقم12514 من شارع سبعة ، وهو أكثر مكان في هارلم حركة. نقلت صحيفة "امستردام نيوز" الخبر فاستنتج الكثير من القراء باننا بدأنا في تأسيس مسجد في "تيرزا".جاءت الكثير من التلغرافات والخطابات والمكالمات التلفزيونية الى الفندق من جميع ارجاء القطر. وكلها كانت تتحدث بلهجة واحدة ، انها خطوة كان الناس ينتظرونها ،وجاءت من أُناس لم أسمع من قبل انهم عبرّوا عن ثقتهم فيَّ بهذه الطريقة المؤثرة.

قال الكثير من الناس، أن القيود الاخلاقية لأمة الاسلام المتشددة نفرتهم من تلك المنظمة، وانهم يريدون ان ينضموا ليّ . تلقيت مكالمة من طبيب او الذي يملك مستشفى صغير، في مكان بعيد، يريد الانضمام والكثيرون أرسلوا مساهماتهم، رغم اننا لم نعلن عن خططنا.كتب عدداً من المسلمين من بعض المدن مطالبين الانضمام، وكتبوا معلقين(إن الاسلام غير غير فعال .... وان منظمة "أمة الاسلام " تتحرك ببطء شديد!!).

كذلك اتصل عدداً من البيض، بعضهم قدم مساهمات والبعض يسألون عن امكانية انضمامهم ؟؟! وكانت الاجابة لا!! لا يمكنهم الانضمام، فعضويتنا قاصرة على السود فقط، ولكن اشتدت عليهم ضمائرهم، فيمكن ان يقدموا مساهمات مالية، للمساعدة في الوصول الى حل أو مقاربة بناءة لمشكلة العرق في امريكا، ثم صارت طلبات للتحدث – اثنتان وعشرون ، وصلت في صباح يوم اثنين بالبريد، وقد اندهشت عندما علمت أن عدداً غير قليل من الطلبات، جاءت من مجموعات كنسية بيضاء ، ثم دعونى الى مؤتمر صحفي.

أعدت المياكرفونات واضيئت المصابيح.جاء الصحفيون رجالاً ونساءاً سوداً وبيضاً يمثلون ، ووسائل الاعلام من جميع انحاء العالم جلسوا ينظرون اليَّ ، واقلامهم ومذكراتهم جاهزة، اعلنت الاتي (سوف أقوم بتنظيم ورئاسة مسجداً جديداً هنا، في مدينة نيويرك وسنسميه (المسجد العالمي للمسلمين) ، وسوف يمنحنا هذا المسجد قاعدة دينية ، وقوة روحية ضرورية لمساعدة اهلنا في التخلص من الرزائل التي لحقت بهم،والتي أدت الى تدمير النسيج الاخلاقي لمجتمعنا).

(إن المسجد العالمي للمسلمين) سوف يكون له مقر للرئاسة مؤقتاً ، هنا في فندق (تيرزا) في هارلم . وسوف يكون قاعدة للعمل ، لاطلاق برنامج عملي يهدف الى القضاء على الكبت السياسي ، الاستغلال الاقتصادي، ووضع حد للإزلال الاجتماعي الذي يعانيه أكثر من اثنين وعشرين مليون من الافرقيين الامريكان يومياً. ثم بدأ الصحفيون في طرح الاسئلة.

لم يكن الامر بهذه السهولة ، ذهبت الى القليل من الاماكن، ولم أكن أدرك ان أي عدداً من اخواني السابقين، سيشعرون بأنهم ابطال في منظمة أمة الإسلام، اذا قاموا بقتلي!!.

فأنا أعلم كيف يفكر أتباع إليجا محمد ولقد علّمت الكثير منه بالتفكير بتلك الطريقة. كنت أعلم أنه ما أحد يمكن أن يقتلك أسرع من مسلم ينتمي للجماعة ، إذا شعر أو آمن أن

الله أمره بذلك !! وهناك ترتيباً آخر مهم كنت أعلم إنني احتاجه ، ولقد ظل في عقلي لفترة طويلة – باعتباري عبداً لله – ولكنه يحتاج إلى مال ، والذي لم أكن أملكه .

طردت إلى "بوستن" لابد من اللجوء إلى شقيقتي "إيلا" ورغم إنني كنت قد أغضبت "إيلا" ولكن خلف كذلك – ومنذ أن جئت إليها ، وأنا مراهق ساذج من متشجان "إيلا" لم تخذلني ولو لمرة واحدة .

"إيلا" قلت لها :

(أنني أريد الحج إلى مكة!)

قالت إيلا : كم تحتاج من المال ؟؟؟

مكـــــة

الحج إلى مكة يعرف (Hajj) وهو عبارة عن التزام ديني يجب على كل مسلم تقي القيام بتلك العبارة ، بشرط أن يكون مقتدراً على الأقل مرة في حياته .

يقول الله تعالى : ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)) .

وكنت في بعض التجمعات ، الغير رسمية في الجامعات والكليات الأمريكية ، عندما يكون لي لقاءات ، يأتيني بعض الناس ولهم بشرة بيضاء ، ويعرفون أنفسهم بأنهم عرباً من الشرق الأوسط ، ويعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية . وكانوا يقولون لي ، رغم أن تصريحاتي وإفاداتي والتي أتهم فيها البيض بالعنصرية ، إلا أنهم يعتبرونني مسلماً مخلصاً

ويقولون إنه إذا قدر لي أن أتعرف على الإسلام الحقيقي ، فسوف أفهمه وأعتنقه ، وبديهياً لأنني كنت أحد أتباع إليجا محمد ، كنت أشعر تلقائياً بشيء من الشموخ إزاء هذا القول.

ولكن عندما أخلو لنفسي وأفكاري ، وبعد العديد من هذه التجارب . فسألت نفسي سؤال : إذا كان الواحد منّا يعتبر نفسه مسلماً مخلصاً ، لماذا يمتنع عن توسيع معرفته بذلك الدين .

تحدثت مع أليس محمد " ابن إليجا حول هذا الموضوع ، قال ، نعم ، وأضاف أن على المسلم تعلم كل شيء عن الإسلام . وكنت كما ذكرت سابقاً دائماً أكن تقديراً عالياً (أليس محمد) .

ألح علي هؤلاء المسلمين المستقيمين ، والذين التقيتهم إلى ضرورة لمقابلة شخص يدعو د. محمود يوسف شواربي ، والذي وصف لي بأنه مسلماً ، بارزاً وذو تعليم جيد ، فهو خريج جامعة القاهرة وحاصل على الدكتوراه من جامعة لندن ، وهو في زيارة من هناك إلى نيويورك باعتباره "المدير العام للاتحاد الإسلامي العام للمسلمين في أمريكا وكندا" وكنت أحياناً وأنا أقود عربتي في ذلك الجزء من المدينة ، والذي يوجد فيه "الاتحاد العام للمسلمين" أقاوم رغبة شديدة ، لزيارة ذلك المبنى البُني ، والذي يقع في رفر سايد درايف (Riverside Drive) حتى تمكن صحفي من يعرفنا بصفتنا البعض. كان رجلاً ودوداً . قال لي أنه كان يتابع أحاديثي من خلال الصحافة ، وذكرت له أنهم قد أخبروني عنه ، ومن ثم تحدثنا لحوالي خمسة عشر أو عشرون دقيقة . كلانا كان يجب عليه إنهاء الحديث بسبب ارتباطات سابقة ، عندها قال لي كلاماً – لم تفارقني وجاهته وحكمته أبداً وهو حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

لا يمكن أن أنسى ما قدمته لي أختي "إيلا" . كما قلت من قبل فإن هذه المرأة السوداء القوية والضخمة المولودة في "جورجيا" بطبيعتها الاستبدادية التي جعلتها تركت منظمة "أمة الإسلام" في بوستن في المسجد رقم احدى عشر ، فأعادوها ، ولكن تركت المنظمة مرة أخرى

– بدأت إيلا في دراسة الإسلام من بعض المسلمين المستقيمين في بوستن ، ثم أسست مدرسة لتعليم اللغة العربية . رغم أنها لا تتكلمها ، ولكنها استأجرت بعض المعلمين والذين يتكلمونها . هذه هي إيلا وهي تعمل في مجال العقارات ، وتقوم بتوفير بعض المال للحج.

طوال الليل ، كنا نتحدث في غرفة معيشتها ، قالت لي أنه يجب أن أسأل بخصوص ذلك ومن المهم والضروري الذهاب إلى الحج. كنت أفكر في "إيلا" طيلة رحلتي وأنا عائد إلى "نيويورك" امرأة قوية . لقد حطمت أرواح أزواجها الثلاثة ، فهي أكثر حركة وطاقة منهم جميعاً . ولقد لعبت دوراً مهماً في حياتي لم يكن هناك امرأة أخرى في مثل قوتها ، وحددت لي اتجاهاتي ، فأنا الذي أحدد اتجاهات كل النساء اللائي أعرفهن ، وقد أقنعتها باعتناق الدين الإسلامي ، وهي الآن تمول سفري إلى مكة لأداء الحج .

إن الله دائماً يمنحك إشارات ، عندما تكون في معيته . عندما تقدمت لطلب التأشيرة للسفر إلى مكة من القنصلية العربية السعودية ، قال لي السفير السعودي ، لا يمكن لمسلم أمريكي أن يحصل على تأشيرة للحج ، دون موافقة د. محمود الشواربي ، وكانت هذه بداية الإشارة من الله على القبول . وعندما قمت بإجراء اتصال هاتفي بدكتور الشواربي ، اندهش قائلاً (لقد كنت قبل قليل أفكر في الاتصال بك) ثم قال (تعال إلى هنا سريعاً) في مكتب دكتور الشواربي ، سلمني خطاب للموافقة للقيام بأداء الحج وكتاب عنوانه (الرسالة الخاتمة لمحمد صلى الله عليه وسلم) مؤلفه عبد الرحمن عزام ، قال دكتور شواربي (أن مؤلف الكتاب أرسل هذه النسخة لي ، ثم قال شارحاً (أن هذا المؤلف مصري ولد في السعودية ، فهو مواطن سعودي ، ورجل سياسة عالمي ، وهو من أقرب المستشارين للأمير فيصل حاكم العربية السعودية ، وأضاف أنه كان يتابعك عن كثب عبر الصحافة والإعلام (ولكنني وجدت صعوبة في تصديق ذلك) .

أعطاني د. شواربي رقم تلفون ابنه ، محمد شواربي طالب يدرس في القاهرة ، كما اعطاني رقم ابن مؤلف الكتاب "عمر عزام" والذي كان يعيش في جدة " آخر محطة قبل وصولك إلى مكة " اتصل بهم ، بكل الوسائل) قال د. شواربي :

(تركت نيويورك بهدوء ولم أدرك أن عودتي ستكون أكثر ضجيجاً) عرف بعض الناس القليلون بأمر سفري ، لم أرغب أن توضع بعض العراقيل ، من قبل وزارة الخارجية تمنع سفري في اللحظات الأخيرة .

لم يحضر أحداً لوداعي في مطار كندا العالمي سوى زوجتي (بيتي) وبناتي الثلاثة ، وبعض معاويني المقربين .

وعندما أقلعت طائرة شركة لوفتزيانا تعرفت على من يجلسان إلى جانبي ، وهذه إشارة من الله أخرى ، فقد كان الأثنان مسلمين ، كان أحدهم متجه إلى القاهرة مثلي تماماً ، أما الآخر فوجهته جدة ، ولتي يفترض أن أصل إليها خلال أيام معدودات . طيلة الرحلة إلى "فرانكفورت" كنت أتحدث مع رفقاء سفري أو أقراء .

عندما وصلنا "فرانكفورت" غادرنا بعد أن ودعنا الأخ الذي كان يتجه إلى جدة كان علينا المكوث لبضع ساعات ، قبل أن نستقل طائرة أخرى متجهة إلى القاهرة .

لذا قررنا أن نقوم بجولة في مدينة فرانكفورت في داخل حمامات المطار الرجالية التقيت بأول أمريكي أقابله في الخارج ، هو طالباً أبيضاً من "روود أيلاند" كان ينظر إلى ثم جرى نحوي "هل أنت أكس ؟؟؟ قلت ضاحكاً "لم أسمعها تقال لي بهذه الطريقة "لا يمكن أن تكون أكس " ولن يصدقني أحد إذا قلت لهم إنني قابلت أكس" كان هذا الطالب يدرس في فرنسا ، لقد أنبهرتُ أنا والأخ المسلم بالضيافة الحميمة والتي استقبلنا بها الناس في "فرانكفورت" ذهبنا إلى الكثير من المحال التجارية والبقالات ، نتفرج فقط ولا نرغب في شراء شيئاً ، كنا عندما ندخل إلى متجر ، يستقبلنا الناس قائلين ، أهلاً وهم اناس غرباء لم نراهم من قبل .

ويودعوننا بنفس الحميمية التي استقبلونا بها رغم أننا لم نشتري شيئاً . فإذا دخلت متجر في أمريكا ، وأنفقت مائة دولار ، ومن ثم غادرت تظل غريباً ، أنت والبائع تتصرفان ، كأنكما تؤديان خدمة ، أما الأوربيون يتصرفون بشكل أكثر إنسانية ، كان أخي المسلم يتكلم بعض الألمانية ، عندما يذكر لهم بأننا مسلمين كنت أشعر أنهم ينظرون إلى كمسلم وليس كزنجي كما يفعل الناس في أمريكا .

عندما ينظر إليك الناس كمسلم ، يعبرونك إنسان وبالتالي تختلف نظراتهم وأحاديثهم إليك ، في متجر صغير في فرانكفورت ، مال نحونا ، صاحبه وأشار بيده ، نحو المارة في الشارع قائلاً (من هذا الطريق في يوم ما ومن الاتجاه الآخر في يومٍ آخر !!) .

وقد قام الأخ المسلم بشرح ذلك ، قائلاً بأنه يقصد أن الألمان سوف ينهضون مرة أخرى.

في مطار فرانكفورت استقلينا طائرة تابعة للخطوط الجوية العربية المتحدة ، إلى القاهرة ، أرتال من الناس ، كلهم مسلمون ، من مناطق مختلفة ، في طريقهم إلى الحج ، يحتضنون بعضهم البعض مودعين ، من كل ألوان الطيف ، في جو يسوده المودة والدفء ، ولقد أثار إعجابي ذلك ، فليس هناك مشكلة لون هنا. كان تأثير ذلك شديداً ، كأنني خرجت من السجن للتوه .

أخبرت أخي المسلم ورفيقي ، بأنني أريد أن أقوم بجولة في القاهرة ، قبل أن أتصل به ، لأنه يريدني أن أنزل مع بعض أصدقائه والذين يتحدثون الإنجليزية قبل أن يغادر هو إلى الحج ، يريد أن يتأكد بأنني بخير .

أمضيت في القاهرة يومين متجولاً في شوارعها أبهرتني المدارس الحديثة مشاريع الإسكان ، الطرقات ، حركة التصنيع ، وكنت قد قرأت وسمعت أن حكومة الرئيس ناصر ، قد أنشأت أكبر قاعدة صناعية في كل القارة الأفريقية ، وما أدهشني حقاً في القاهرة ، هو أنه توجد بها مصانع للسيارات الباصات ، كما قمنا بزيارة جيدة ، أنا وابن دكتور شواربي ، محمد شواربي

ذو التسعة عشرة ربيعاً ، والذي كان يدرس الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة ، قال محمد شواربي ، أن أباه يحلم ببناء جامعة إسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية ، لقد زُهل أولئك الناس الودودون ، عندما علموا أنني مسلماً من أمريكا ، كان بينهم عالم مصري بصحبة زوجته متجهان أيضاً إلى مكة للحج ، ولقد أصر هذا العالم على الذهاب معهم لتناول العشاء ، في مطعم في ضاحية هيلبوس في القاهرة . وقد كانا واسعا الأفق ويتمتعان بذكاء كبير . قال ذلك العالم المصري "أن نهضة مصر الصناعية ، هو السبب وراء عداء القوى الغربية لمصر ، والتي تسعى إلى إقناع بقية الدول الأفريقية ما يمكن أن تفعله ، سألتني زوجته (لماذا يعاني الناس في العالم من الجوع بينما تكدس أمريكا الطعام الفائض؟) قلت لها " أنهم يقومون بإلقائه في المحيط" نعم !! ولكنهم يقومون بوضع الفائض في سفن ، والبعض الآخر في صوامع ، ومساحات مكيفة بالهواء ، ويتركونه هناك حتى يصير غير قابل للأكل ، ثم يقوم عدداً من الناس بالتخلص منه ، حتى يفسحوا المجال لمحصول آخر فائض) ، نظرت إلى غير مصدقة ، ربما اعتقدت إنني امازحها ، ولكني لم استرسل وأقول لها أن هناك جوعى حتى في الولايات المتحدة الأمريكية – اتصلت بصديقي المسلم ، وكما طلب مني ، حيث قال لي أن مجموعته والمتوجهة إلى الحج في انتظاري.

كنا ثمانية ، قاضي ومسؤول في وزارة التعليم ، وكانوا كلهم يتحدثون الإنجليزية بصورة جيدة ، وتقبلوني كأخ لهم ، واعتبرت ذلك أيضاً إشارة من الله ، حيثما ذهبت أجد أحدهم يساعدني ويرشدني .

إن كلمة حج تعني بالعربية (القصد) "أو الخروج إلى هدف معين" ، والمعنى الشرعي يعني : التوجه إلى الكعبة ، البيت الحرام لأداء فريضة أو شعيرة الحج ، في داخل مطار القاهرة ، قام العديد من الحجيج بارتداء ملابس الإحرام . وهذا يعني الاستعداد الروحي والجسدي لأداء الشعيرة وبناء على نصيحة من الأخوة تركت في القاهرة كل أمتعتي ، وأربعة كميرات وكميرة واحدة سنمائية ، وقمت بوضع بدلة واحدة وقميص وجوز من الملابس الداخلية

والأحذية في حقيبة صغيرة اشتريتها في القاهرة ، ونحن نتجه نحو مطار القاهرة مع مجموع الحجيج ، بدأ أشعر ببعض التوتر ، لأنني من الآن وصاعداً فعلي أن أشاهد ما يقوم به رفاقي ، وعلي أن أقوم بتقليدهم .

إن الدخول في حالة الإحرام ، كان يعني خلع ملابسنا العادية ووضع قطعتين من القماش لونها أبيضاً أحدهما تسمى "الإيزار" والتي تلف حول الخاصرة ، أما والأخرى فتسمى "الرداء" وهي توضع على الكتف ، مع ترك الكتف واليد اليمنى عاريتين ، كما يلبس الحاج جوزين من الصندل المتواضع يسمى بالعربي (النعال) والذي يترك عظمة الكعب عارية . كما توجد على الإيزار حقيبة صغيرة لحمل النقود ، وكذلك جواز السفر وبعض الأوراق المهمة ، كنت أحمل فيها خطاب الدكتور شواربي ، كنت واحد من الآلاف من الجموع التي كانت موجودة في مطار المغادرة إلى جدة جميعهم يلبسون هذا الزي ، قد تكون ملكاً ، أو فلاحاً بسيطاً ، غير مهم من تكون ، قد أشار لي رفاقي وأروني إلى بعض الشخصيات المهمة ، وهم في نفس الزي ، وبمجرد أن وضعنا زي الإحرام هذا أخذنا نردد بصورة متقطعة "لبيك اللهم لبيك" وكان صدى أصوات الحجيج المحرمين يتردد في كل أرجاء المطار ، كانت الطائرة تأخذ عدداً من الحجيج ، كل بعض دقائق ، ولكن المطار ما زال مكتظاً بالحجيج وأقربائهم وأصدقائهم ، والذين لم يتمكنوا من الحج هذا العام ، كانوا يطلبون من المغادرين إلى الأرض المقدسة الدعوة لهم .

وفي داخل الطائرة ، عندما أصبحنا في الهواء علمت ولأول مرة ، وبسبب الزحام يبدو أنه حدث كسر لمقعدي وبالتالي لا يوجد مكان لي ، فطلبوا من أحد الحجيج أن يتأخر ، حتى لا يخيبوا ظن المسلم الأمريكي ، غمرتني أحاسيس متناقضة ، شعرت بالأسف والإزعاج والمضايقة والتي سببتها لأحدهم ، وفي نفس الوقت كنت أشعر بالتواضع الشديد وأعتراف بالجميل والفضل لكونهم خصوني بهذا الشرف والاحترام . تكومنا داخل الطائرة أناس من مختلف الأجناس والألوان ، بيضاً سوداً ، بنيون ، حمراً ، صفراً ، أصحاب العيون الزرقاء

والشعر الأشقر ، شعري المجعد جنباً إلى جنب مع أخوة ذو شعر أحمر ، لكنا كأخوة !! لكنا نعبد نفس الرب الله ، وكل يحترم ويقدر الآخر ، ثم أخذ ينتشر من مقعد إلى الآخر همساً بوجود مسلماً من أمريكا ، فبدأت الوجوه تنظر نحوي مبتسمة ملقية التحية ، تم تمرير أطباق طعام صغيرة عبارة عن وجبة الغداء وعندما انتهينا من تناوله ، كانت الأخبار بوجود مسلماً من أمريكا ، قد وصلت إلى قمرة القيادة في الطائرة .

جاء إلى مقعدي الكابتن الذي كان مصرياً ولونه أكثر سمرة منّي ، إذا مشى في شوارع "هارلم" لن يُعيره أي شخص نظرة ثانية ، وكان سعيداً لمقابلة مسلماً من أمريكا. ومن ثم دعاني إلى قمرة القيادة ، فقفزت من مقعدي في الحال ، كان رفيقه الآخر أكثر سمرة منه ، لا يمكن وصف ما انتابني من شعور فأنا لم أرى في حياتي رجلاً أسمر يقود طائرة.

أن لوحة القيادة وهي تحمل كل تلك الأزرار تربك أي شخص . كان الطياران يبتسمان لي ، ويعاملانني بنفس الاحترام والشرف اللذان ظللت أتلقاهما منذ أن تركت أمريكا . هناك في أمريكا ، قد اتيح لي ، أن أستقل الطائرة عدة مرات ، أكثر من أي زنجي آخر ، ورغم ذلك لم يدعوني أحد إلى غرفة القيادة .

كان يجلس إلى جانبي أخوان مسلمان ، أحدهما من مصر ، والآخر من السعودية العربية وكلاهما متجهان إلى مكة ، هناك في غرفة القيادة كنت اعلم أن الله معي .

عدت إلى مقعدي ، طيلة أثناء الرحلة والتي استغرقت نحو ساعة ، كنا نردد (لبيك اللهم لبيك) ثم أخيراً هبطت الطائر في مطار جدة ، وهي ميناء بحري يقع على البحر الأحمر : وهي نقطة الوصول والنزول ، لكل الحجيج القادمون إلى العربية السعودية لأداء الحج . مكة تبعد حوالي أربعون ميلاً إلى الداخل شرقاً ، كان مطار جده يبدو أكثر اكتظاظاً من مطار القاهرة ، تدافعت مجموعتنا واختلطت بالجموع والتي تمثل تقريباً كل عرق وعنصر على

الأرض ، كل مجموعة تحاول أن تجد طريقها إلى نقطة الجمارك ، كانت كل مجموعة من الحجيج قد عينت لها (مطوف) والذي سيكون مسؤولاً عن سفرها من جدة إلى مكة.

كان بعض الحجيج يصيح بالتلبية والبعض الآخر كان يرددون دعاءاً جماعياً هذه ترجمته (لا أعبد إلا إياك يا الله .. لا أعبد أحدٌ سواك .. لا شريك لك .. لك الحمد والفضل لك.. ولك الملك وحدك..) . وخلاصة هذا الدعاء هو الدعوة إلى توحيد الله وعدم الشرك به.

لم يكن المسؤولين يرتدون ملابس الإحرام .. كانوا يلبسون الطاقية البيضاء وقميص أبيض كامل ونعال.

والمفتي والذي يقود كل مجموعة من الحجيج ومساعديه في اللغة العربية كلمة أمام (فهي تأتي قبل أي فعل وتحوله إلى "اسم فعل" تعني من يقود ويرشد الحجيج بالطواف حول الكعبة الشريفة في مكة ، كنت متوتراً وأنا أقف في منتصف مجموعتنا في صف في انتظار ماذا؟ أقدم لهم جوازي الأمريكي!! ، والذي قد يعني معناً عكس ما يعنيه الإسلام تماماً . لاحظ القاضي الذي في مجموعتنا توتري ، فربت على كتفي .

الحب والتواضع والأخوة الحقيقية هي المشاعر الوحيدة المحسوسة والتي أجدها أين ذهبت ثم أخيراً وصلت مجموعتنا إلى الموظف ، الذي كان يتفحص كل جواز وكل حقيبة جيداً ، ثم يشير إلى الحجيج بالتحرك ، كنت قلقاً عندما أدرت المفتاح في قفل الشنطة ولم تنفتح فكسرتها ، كنت اخشى أن يظنوا بأنني أحمل داخلها شيئاً ممنوعاً ، لاحظ الموظف أنني أمد له جوازاً امريكياً أمسك بالجواز ، ثم نظر إلى وتمتم شيئاً بالعربي .

ثم بدأ أصدقائي حولي يتحدثون باللغة العربية ، ويشيرون ويلمحون ، محاولين التدخل لمساعدتي ، سألني القاضي بالإنجليزية ، وطلب مني خطاب الدكتور شواربي ، ثم دفعه نحو الموظف والذي قراءه ثم أعاد لي الخطاب محتجاً ، كما وضح لي ذلك .. دار جدل ، عني ، شعرت بالغباء إزاء وضعي ، وأنا لا أستطيع أن أرد ولا حتى أفهم ما يدور حولي لكن أخيراً ،

قال لي القاضي بحزن موضحاً أنه علي الذهاب إلى "مجمع الشريعة" وهو يعتبر أكبر محكمة إسلامية عليا ، يقوم أعضائها يتفحص أوراق من يعتنقون الإسلام حديثاً ، ويرغبون في دخول مكة .

ومن المعروف ، أن غير المسلمين ممنوعون من دخول مكة ، إذن على أصدقائي التوجه إلى مكة بدوني ، وكانوا قلقون وفي حالة صدمة بشأني وكنت أنا أيضاً مصدوماً. وأخيراً قلت لهم (لا تقلقوا .. سأكون بخير !! إن الله سوف يرشدني) قال أنهم سوف يدعون الله من أجلي . وكان المتطوف يلح عليهم بالإسراع حتى يصلوا إلى المطار باكراً ، قبل ساعات الزحمة ، لوحنا إلى بعضنا مودعين. وفي صباح يوم الجمعة في حوالي الساعة الثالثة ، لم أجد نفسي في ازدحام كهذا من قبل ، كما لم أشعر بالوحدة ، والعجز منذ أن كنت طفلاً صغيراً . الأسوأ أن يوم الجمعة هو يوم العطلة والذي يعادل يوم الأحد عند المسيحيين .

ففي يوم الجمعة يجتمع كل المسلمين لأداء صلاة الجمعة ومن ذلك جاء الاسم "يوم الجمعة" أي يوم الاجتماع ، لذلك لا تنعقد محاكم في ذلك اليوم. إذن علي الانتظار حتى يوم السبت على الأقل .

أشار مسؤول شاب إلى مساعد المتطوف شرح لي المسؤول الشاب باللغة الإنجليزية ركيكة بأنه علي الذهاب إلى مكان قريب من المطار ، جوازي تم احتجازه لدى الجمارك ، أردت أن احتج ، بأنه لا يجوز قانوناً التفريق بين الشخص وجوازه ، ولكن صمت ، ذهبت خلف مساعد المتطوف وأنا في ثياب ونعال الإحرام .

لم أجد صعوبة في تتبع ذلك المساعد بثيابه البيضاء الطويلة وطاقيته الحمراء ، وكان الناس حولنا يتحدثون بمختلف اللغات ، ولم أكن أعرف أي من هذه اللغات ، لقد كنت في وضع مذري .

خارج المطار ، يوجد مسجد ، وعلى مسافة منه يوجد مبنى ضخم أشبه بعنابر ، توجد منه أربعة صفوف ، كان الوقت قبيل بزغ الفجر بقليل ، وهناك القليل من الظلام وكانت الطائرات تقلع وتهبط وتوضئ المدرج بأنوارها ، وتلتمع السماء بضوء اجنحتها وزيولها ، حجيج من كندا ، أندونيسيا ، اليابان ، وروسيا ، وهذا بعض منهم فقط ، يغادرون تلك العنابر حيث أخذت إلى هناك لا اعتقد أنه في إمكان كميرا سنمائية التقاط هذا المنظر المتنوع الألوان ، كما فعلت عيناي ، وصلنا إلى المبنى ، ومن ثم صعدنا إلى الطابق الرابع أعلى المبنى ، ونحن نمر بأناس من مختلف الأعراق ، صينيون ، أندونيسيون ، أفغان ، الكثير منهم ما يزالون في ثيابهم القومية ، لم يلبسوا ثياب الإحرام بعد ، كان المنظر أشبه بصفحات منزوعة من مجلة (ناشونال جغرفي) .

أشار إلى المرشد أن أتجه نحو غرفة صغيرة ، تضم أربعة اشخاص ، معظمهم كان منطوون على خصائرهم نيام ، بعضهم كانوا نساء ، عرفتهم من زيهم ، والذي يغطي الرأس حتى القدم ، كان هناك مسلماً روسياً عجوزاً وزوجته ما زالوا مستيقظين .

حملقوا في ، كان هناك مسلمان مصريان ومسلماً فارسياً . أيضاً كانوا يبحلقون في ، بينما أخذني مرشدي إلى ركني ، بإشارات منه أفهمني أنه يريد أن يرني الطريقة الصحيحة لأداء الصلاة ، ولك أن تتخيل مسلماً يعمل واعظاً وقائداً في منظمة إليجا محمد أمته الإسلام لا يعرف أداء شعيرة الصلاة حاولت التعلم بقدر المستطاع ، وكنت أعلم أنني لا اؤديها بالطريقة الصحيحة . وكنت أشعر بعيون هؤلاء المسلمين وهم ينظرون إلى .

لا تستطيع أكعاب الغربيين ، القيام بما تعودته أكعاب المسلمين ، بينما يجلس الأسيويون القرفصاء ، يجلس الغربيون معتدلين على الكراسي ، عندما كان مرشدي يهبط في وضع انحناء ، حاولت ذلك ولكن دون جدوى ، فكنت أظل منتصباً واقفاً ، بعد ساعة تقريباً ، غادر مرشدي ، وقال أنه سيعود فيما بعد ، لم أفكر في النوم ، كنت طوال الوقت أراقب هؤلاء المسلمين ، وأحاول أن امارس وضعهم الصحيح للصلاة ، كنت أرفض أن أكون في نظرهم

سخيفاً. بعد فترة ، استطعت أن أتعلم حيلة صغيرة مكنتني من القدرة على الانحناء والركوع ، ولكن بعد يومين أو ثلاثة كان كعبي قد تورم ، عند الفجر استيقظ المسلمين وفي الحال علموا بوجودي ، وكانوا يراقبوني ، وهو يقومون بأعمالهم ، بدأت أدرك الدور الذي يلعبه الحصير في حياة المسلمين الثقافية ، كل شخص له مصلاة صغيرة لأداء الصلوات ، وكل مجموعة لها حصير كبير ، هؤلاء المسلمين يؤدون صلواتهم في هذه الصليات في داخل غرفهم ، ثم يفترشونها للأكل . فتصبح غرفة للأكل ومن ثم يتخلصون من الأطباق فتصير غرفة جلوس ، كما أنها تتحول إلى غرفة نوم .

وأنا في تلك الغرفة وقبل أن أغادرها ، أدركت ولأول مرة ، لماذا دفع تاجر المسروقات في بوسطن ذلك المبلغ الكبير ، مقابل السجاد الشرقي ، وذلك عندما كنت لصاً. لأن عملية نسيج السجاد ، غاية في التعقيد ، وتتطلب مهارة وحرص ، في تلك الدول والتي يمثل لها السجاد قيمة ثقافية . فيما بعد وفي مكة اكتشفت فائدة أخرى للسجاد . إذا حدث أن نشأ أي نوع من الخلاف ، يجلس شخصاً يكون عادة مكان تقدير واحترام ومحايداً ، على السجاد ، وحوله الأطراف ، الأمر الذي يجعل السجاد ، محكمة . وفي أمثلة أخرى يصبح السّجاد فصلاً دراسياً .

كان أحد المسلمين المصريين ، ما يزال ينظر إلي بطرف عينه ، ابتسمت له . فقام من مكانه وجاء إلي وحياني قائلاً "أهلاً !! تبدو أشبه بلهجة "بتسبيرج" ابتسمت له قائلاً "هلا!!" سألته عن اسمه اسم !! اسم!! حاول بشدة أن يفهم سؤالي ولكنه لم يستطيع قمنا بمحاولة كلمات أخرى . أظن أن محصلة مفرداته لا تتجاوز العشرون كلمة ، فهي قليلة للدرجة التي أحبطتني . حاولت معه ان يستوعب أي شيء مثلاً كلمة Sky . " السماء " وأنا اشير إلى أعلى . كان يبتسم مردداً " السماء " ثم أردد أنا مرة مع الإشارة وأكرر حتى لكي يردد معي ! فأقول " طائرة !! سجاد ! قدم !! صندل !! عيون بهذه الطريقة ! ثم حدث شيءٌ مدهشاً ، غمرتني سعادة ، لأنني استطعت أن أتواصل مع إنسان ، لذلك أصبحت أقول أي شيء يخطر

على بالي أقول "محمد علي كلاي" !! كان المسلمين يستمعون ثم يهللون كشجرة عيد الميلاد وهي مضاءة . أنت !! أنت !! كان صديقه يشير إلى ! وكنت أهزّ رأسي بالنفي لا!! قائلاً "محمد علي كلاي صديقي !! ولكن لم يكونوا يفهمونني بشكل كافي. والبعض لا يفهم إطلاقاً !! وكهذا بدأ ينتشر بين المسلمين بأنني "كاسيس كلاي " بطل العالم للوزن الثقيل في الملاكمة . ومن ثم علمت ووضح لي جلياً فيما بعد ، أن كل رجل وكل امرأة وطفل في العالم الإسلامي ، سمعوا عن " سوني لستون – والذي يصوّر في العالم الإسلامي كرجل يأكل الغول – لكن هزمه كاسيس كلاي ، في وضع أشبه بهزيمة جالوت على يد داؤود ، و من ثم ، سمّى "كاسيس" نفسه محمد علي بعد أن أعلن للعالم اعتناقه للإسلام وكيف . أن الله وهبه النصر من عنده .

إن أفضل شيء فعله بالنسبة لي ، هو خلق نوع من الوئام داخل هذه المقصورة . كوني أمريكي مسلماً ، غيّر الموقف ، من مجرد مراقبتي إلى البحث عني . والآن بدأ البعض الآخر وبثبات يبتسم لي . اقتربوا أكثر ، وكانوا بصراحة ينظرون لي من أعلى إلى أسفل ، كانوا يتفحصونني . بصورة ودية كنت أشبه برجل جاء من المريخ .

عاد مساعد المطوّف ، وأشير لي بالذهاب معه ، ومن العنبر الذي كنت فيه أشير إلى المسجد ، فأدركت أنه يريدني أن أؤدي صلاة الصبح ، والتي تكون دائماً قبل شروق الشمس. اتبعته ، ومررنا بآلاف من الحجيج ، وهم يهزون بكل اللغات ، ما عدا الإنجليزية.

غضبت من نفسي ذلك لأنني لم أخذ وقتاً كافياً لتعلم الصلاة بالطريقة الصحيحة قبل مغادرة أمريكا . عندما كنت أنتمي إلى أمة الإسلام التابعة لمحمد إليجا ، لم نكن نصلي بالعربي . قبل اثنتي عشرة سنة ، عندما كنت في السجن ، التقيت أحد أنصار حركة المسلمين الأصوليين في "بوستن" اسمه "عبد الحميد" الذي زارني وثم أرسل لي الصلوات. بالعربي . وقد تعلمت تلك الصلوات وقتها ، ولكن صوتياً فقط . ولكن لم أقم بتطبيقها منذ ذلك الحين .

قررت أن أترك مرشدي يقوم بأي شيء أولاً ، ومن ثم أقوم أنا بمشاهدته . ولم يكن من الصعوبة جعله يفعل الأشياء أولاً ، فهو يريد ذلك على أية حال – تماماً خارج العنبر، صفاً من الحنفيات . إن الوضوء يسبق الصلاة ، فأنا أعرف ذلك . رغماً أنني كنت أشاهد مساعد المطوّف يقوم بذلك ، إلا أنني لم أتمكن من عمل ذلك بشكل صحيح . يقوم المسلم بإتباع طريقة محددة للغسل ، وتلك الطريقة المعينة مهمة جداً . تبعته ودخلت معه المسجد ، بخطوة واحدة خلفه وأنا أشاهده . سّجد ، ورأسه مطروح على الأرض . سجدت أنا كذلك . قائلاً "بسم الله الرحمن الرحيم" كل المسلمين يبدؤون صلاتهم بهذه الطريقة . وبعد ذلك أخذت أتمتم بكلمات ، قد لا تكون صحيحة ، ولكني أتمتم على أية حال .

لا أقصد أن أجعل من ذلك مضحكاً . لم يكن الأمر يشبه مزحة . ولا أحد من الذين كانوا بالقرب مني يتابعون ، يمكن أن يقولوا ، ما يقوله الآخرون .

بعد أداء صلاة الصبح ، اصطحبني مرشدي إلى العنبر الرابع . وبإشارة ، أفهمني ، أنه سوف يعود بعد ساعة من الزمن ، ثم غادر . من هذا العنبر أستطيع أن أرى المنظر الجميل لكل منطقة المطار . ووقفت أمام السياج أشاهد ، الطائرات وهي تهبط وتقلع ، كعمل الساعة . الآلاف والآلاف من الناس ، ومن مختلف العالم وبمختلف الألوان والسحنات يتحركون . رأيت مجموعات تغادر إلى مكة في بصات ، شاحنات ، وسيارات . ورأيت البعض الآخر انطلقوا لقطع الأربعون ميلاً مشياً على الأقدام . تمنيت أن أبدأ المشي معهم ، فأنا أعرف كيف أفعل ذلك .

كنت خائفاً ، من التفكير فيما ينتظرني ، فهل سيتم رفضي كحاج إلى مكة ؟؟؟ وأتساءل ما هي طبيعة الاختيار المعدّ لي ، عندما أواجه محكمة المسلمين العليا . جاء المسلم الفارسي إلى غرفتنا ، ثم جاءني عند السياج . حياني ثم قال متردداً (الأمريكي ؟؟ ثم أشار لي موضحاً ، أنه يريدني أن اذهب وأتناول معه وزوجته وجبة الإفطار . على السجاد – كنت أعلم أنه عرضاً كبيراً منه . فلا يمكن أن تدعى لشرب الشاي مع مسلماً وزوجته . ولم أكن أريد فرض

نفسي ، ولم أدري ما إذا كان قد فهمني ذلك المسلم الفارسي أم لا ، عندما هززت رأسي مبتسماً وأنا أعني "لا !! شكراً !! جاءني ببعض الشاي مع الكعك ، على أية حال . حتى تلك اللحظة ، لم أكن أفكر في الأكل . أما الباقون كانوا يلوحون، كانوا يأتون ويبتسمون يقومون بالإيماءة نحوي . صديقي الأول والذي كان يتحدث القليل من الإنجليزية ذهب ولم أدرك ذلك ، ولكنه أخذ ينتشر أخباراً ، عن وجود مسلماً أمريكياً في العنبر رقم أربعة . بدأت السيارات تمر بعنبرنا . وعليها مسلمون بعضهم في ملابس الإحرام والبعض الآخر ما يزالون في أزيائهم القومية ، يسيرون ببطء أمام العنبر ، يبتسمون. واستمر هذا الوضع لفترة ، لكن لم أكن أعلم أنني مصدر الاهتمام والانجذاب .

وكنت دائماً متوتراً وفضولياً . فمساعد المطوف لم يعد حتى الآن ، رغم أنه مرت ثلاث ساعات كما قال . وهذا الأمر جعلني متوتراً . خشيت أن يكون قد تخلى عن مساعدتي وفي ذلك الوقت ، تملكني غضباً شديداً .

كل المسلمين الذين داخل العنبر قدموا لي طعاماً ولكنني رفضته . المشكلة ، على أن اعترف في تلك المرحلة ، وهي أستطيع أن اجاريهم في عادات طعامهم . فهم يضعون كل شيء في طبق واحد ، على السجاد والتي تمثل لهم غرفة الطعام ، ثم رأيتهم ينكبون على الطعام ، مستخدمين أيديهم . واصلت وقوفي أمام السياج ، اتابع الميدان والذي يقع في الأسفل . قررت أن استكشف المكان بمفردي . ذهبت إلى الصف الأول من العنابر . ثم فكرت ، وقلت : لا ينبغي لي أن أبتعد كثيراً ، فقد يأتي احدهم يبحث عني ، ومن ثم عدت إلى عنبرنا . وفي خلال أربعون دقيقة ، خرجت أبعد هذه المرة ، وأنا اتحسس طريقي . رأيت مطعماً صغيراً في الميدان ، دلفت إليه مباشرة . كان مكتظاً ، بالناس والذين يهمهمون بلغات مختلفة . مستخدماً بعض الإشارات ، قمت بشراء طبقاً من الدجاج المشوي كاملاً ، وقطعاً من البطاطس. عدت إلى الميدان ، مستخدماً يدي قمت بقطع الدجاجة المشوية . رأيت رجالاً ، أعمارهم لا تقل عن السبعين ، يجلسون القرفصاء ، يأكلون بثقة ورضا ، وكأنهم في مطعم

راقي وحولهم النوادل . الكل يأكل في وحده ، وينام كذلك . كل شيء هنا في مناخ الحج يقوم به الحجيج متحدين ، كأنهم بذلك يجسدون وحدة البشر في ظل الوحدانية الربانية .

قمت بعدة رحلات استكشافية ، ما بين عنبرنا والمساحة ، وفي كل مرة أقوم باستكشاف منطقة أبعد قليلاً . وفي مرة حييت رجلين أسودين كانا يقفان معاً . وكنت أصيح لولا أنه تحدث معي احدهم بالإنجليزية ذات لكنة بريطانية .

وقبل أن يغادروا من مجموعتهم إلى مكة ، استطعت أن أتحدث وأتبادل معهم بعض المعلومات ، وهي أنني من أمريكا ، وقالوا لي أنهم اثيوبيون . وقد تألمت فقد وجدت مسلمين يتحدثان الإنجليزية – ولكنهم مغادرين .

قالا ، الأثيوبيان أنهم درسا في القاهرة ، ويعيشان في الرياض ، وهي العاصمة السياسية للعربية ، كما علمت فيما بعد ، لدهشتي ، أن أثيوبيا والتي يسكنها ثمانية عشر مليون شخص هناك عشرة مليون مسلم ، معظم الناس يظنون أن أثيوبيا مسيحية ، ولكن حكومتها فقط المسيحية . وقد ساعد الغرب دائماً في المحافظة على الحكومة المسيحية في السلطة.

لقد أديت الآن صلاة المغرب . وكنت راقداً في غرفتي في العنبر الرابع ، أشعر بالحزن والوحدة . عندما انبثق نور في وسط الظلام . وكانت في الواقع فكرة مفاجئة . وفي احدى الجولات ، شاهدت أربعة رجال من مسؤولي الحج . يجلسون على طاولة ، عليها تلفون ، والآن ، فكرت وأنا أراهم وهم يجلسون هناك ، والتلفون أمامهم ومضت في عقلي فكرة ، وتذكرت رقم هاتف مؤلف الكتاب . ابن دكتور الشواربي ، والذي أعطاني إياه في نيويورك . وهو يخص ابنه عمر عزام . والذي يعيش هناك في جدة . في غضون دقائق ، كنت أنزل مهرولاً ، إلى حيث رأيت المسؤولين الأربعة ، أحدهم كان يتحدث الإنجليزية بصورة عملية ، بحماس أريته خطاب دكتور الشواربي . قرأه ثم قام بقرأته بصوت مرتفع لبقية المسؤولين الثالثة . "مسلم من أمريكا" ؟؟ لاحظت أنهم كم أثار ذلك خيالهم وفضولهم !! لقد انبهروا . فطلبت

من ذلك المسؤول ، والذي يتقن الإنجليزية ، هل يمكن ان يتفضل ويقدم لي خدمة ، بالقيام بالاتصال بالدكتور عمر عزام .

قال أنه سعيد بعمل ذلك . طلب احدهم في التلفون وتحدث معه بالعربي . حضر دكتور عمر عزام مباشرة إلى المطار ، ومعه أربعة من المسؤولين ، أمسك بيدي مصافحاً ، ومرحباً ، كان شاب طويلاً وقوي البنية . وكان طوله حوالي ستة اقدام ، وكان لامعاً جداً ، في أمريكا ، يمكن أن يعتبر رجلاً أبيضاً ولكنه فاجأني في الحال – من خلال تصرفاته" لم أشعر إزاءه كرجل أبيضاً ، "قال لي متسائلاً " لماذا لم تتصل بي من قبل ؟؟؟ أظهر بعض أوراق الهوية للمسؤولين ثم قام باستخدام هاتفهم . تحدث بالعربية مع بعض مسؤولي المطار قائلاً : "تعال".

وفي خلال أقل من نصف ساعة من الزمن أطلق سراحي ، وأعادوا لي حقيبتي وجواز سفري من الجمارك ، ومن ثم كنا أنا ودكتور عزام داخل عربة ، نسير في طرقات جدة ، كنت في ملابس الإحرام ، أجلس صامتاً ، إزاء التصرف الرحب وشعوري الطبيعي بأنه لا اختلاف بيننا كبشر .

لقد سمعت عن كرم المسلمين ، ولكن ما أجده الآن من دفء لا يمكن تخيله . سألته بعض الأسئلة . دكتور عزام تعلم الهندسة في سويسرا . ومجاله تخطيط المدن . وقد أتت به حكومة المملكة السعودية العربية من الأمم المتحدة ليشرف على كل أعمال البناء الجارية هناك في الأماكن المقدسة .

وأخته ، هي زوجة ابن الأمير فيصل – لقد كنت في سيارة مع رجل هو صهر ، ابن الحاكم في العربية . ولم يكن ذلك كل شيء أعطاني إياه الله ، حيث قال لي "أن أبي سيكون سعيداً بلقائك "وهو المؤلف الذي أرسل لي الكتاب – سألته عن أبيه ، عبد الرحمن عزام ، والذي يعرف بعزام باشا ، حتى جاءت الثورة ، بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر الذي ألغى نظام الباشوية . وقضى على طبقة النبلاء وألقابهم . قال لي أن أباه سوف يكون بالمنزل ،

بمجرد وصولنا إلى هناك . ثم قال : "لقد أمضى وقتاً كثيراً في نيويورك يعمل في الأمم المتحدة ، وقد كان يتابعك باهتمام كبير . بقيت صامتاً !!

وصلنا إلى منزل د.عزام ، في الصباح الباكر كان أبوه موجود ، وأخ لأبيه كيميائي وصديق ، الكل مستيقظاً باكراً في انتظاري . الكل احتضني مثل طفل مفقود منذ زمن طويل . لم أرى هؤلاء الرجال من قبل في حياتي ، وعاملوني معاملة جيدة . على أن أقول أنه لم يصدف أن تم تشريفي في حياتي ، كما لم أتلقى كرم مثل هذا قد .

جاء خادماً بالشاي والقهوة ، ثم غاب عن الأنظار . ألحوا علي أن أشعر بالراحة . لم أرى أي امرأة بالجوار، وهناك من السهولة أن تظن أنه لا يوجد إناث ، سيطر د. عبد الرحمن عزام على معظم المحادثة . لماذا لم اتصل من قبل ؟؟ لم يفهموا لماذا لم أقم بذلك ؟؟ هل أنا مرتاح ؟؟ يبدو أنهم كانوا محرجين ، كوني أمضيت بعض الوقت بالمطار ، وكذلك بسبب تأخري في الوصول إلى مكة . ولم يشفع لي احتجاجي ، أنني لم أشعر بأي إزعاج ، وإنني الآن بخير ، لم يستمعوا لكل ذلك .. يجب عليك أن تأخذ قسطاً من الراحة ؟؟ قال ذلك د. عزام ثم ذهب إلى التلفون .

لا أدري ماذا يفعل هذا الرجل المحترم . لم أكن أعلم عندما قالو لي ، بأنني سوف أعود لتناول وجبة العشاء ذلك المساء ، وأنه عندما استقليت العربة مرة ثانية ، لم أكن أدرك بأنني سوف أدرك بأنني سأقابل بكل ذلك الكرم من المسلمين . عندما يكون د. عبد الرحمن عزام في الوطن ، دائماً يعيش في جناح في فندق القصر بجدة . ولأنني قد جئت أحمل خطايا من صديق ، فإنه قرر سيبقى في منزل ابنه ، ويدعني أستخدم جناحه ، حتى أغادر مكة . وعندما وجدت أنه لا فائدة من الاحتجاج : وجدت نفسي في داخل الجناح وقد ذهب د. عزام ، وليس هناك أحد للاحتجاج له . كان الجناح يحتوي على ثلاثة غرف نوم وحمام كبير وواسع ، أشبه بحمام مزدوج في هلتون نيويورك . ويحمل الجناح الرقم 214 . وتوجد سقيفة في الخارج ، تُمكن من مشاهدة منظر جميل ، لهذه المدينة القديمة الواقعة على البحر الأحمر – لم يسبق

أن كنت في حياتي شغوفاً . لأداء الصلاة كما أنا الآن . سجدت على المصلاة في غرفة المعيشة .

ولم تمنحني أي من مهنتي كرجل أسود في أمريكا ، امتيازاً مثالياً كهذا . وبشكل غريزي تلقائياً ، بدأت أبحث عن الأسباب والدوافع ، لأي شخص مهما حصل ، لا يمكن أن يفعلوا معه كل ذلك . وفي حياتي ، إذا كان التعامل من رجل أبيض فلا ترى فيه إلا الأنانية .

ولكنني في ذلك الفندق صباحاً ، بمكالمة هاتفية ، وعلى بعد ساعات من غرفتي في الطابق الرابع في العنبر . وفي المرات القليلة التي شعرت فيها بالرهبة لدرجة أنني عجزت عن المقاومة. ذلك الرجل الأبيض – أو على الأقل يعتبر أبيضاً في أمريكا – وهو على صلة بحاكم العربية ، كما أنه مستشاره القريب وذو شهرة عالمية ، ولا يحتاج لأي شيء ، يتخلى عن جناحه لي ، حتى ارتاح مؤقتاً : هو لا يحتاج لأي شيء . ولا يحتاج لي أيضاً . فلديه كل شيء . في الواقع لديه أكثر مما يخسره . وهو كان يتابع الصحافة الأمريكية ، فهو يعلم بوصمة العار والتي تلحق بي . فأنا يفترض . فأنا عنصري . وأكره البيض ، وهذا الرجل من خلال شكله أبيضاً ، وأنا مجرماً ، وليس ذلك فقط ، بل الجميع ، يتهمني بأنني استخدم الإسلام كغطاء ، لممارسة أفكاري الإجرامية . وحتى إذا كان لهذا الرجل دوافع لاستغلالي ، فهو يعلم إني قد انفصلت عن إليجا محمد ومن امة الإسلام. والمنظمة الوحيدة التي أنتمي إليها ، تم تأسيسها قبل أسابيع . ليس لي وظيفة ، ولا نقود . وأنا وصلت إلى هناك ، بالأموال التي اقترضتها من شقيقتي .

في ذلك الصباح ، عندما بدأت أعيد تقييم الرجل الأبيض ، بدأت أدرك أن عبارة "رجلاً أبيضاً" إذا استخدمت بصورة عامة ، تعني لون البشرة ثانوياً ، ولكن وبشكل أساسي قد تعني وصف سلوكيات وأفعال . في أمريكا بشكل محدد ، أن عبارة "رجلاً أبيضاً" تعني سلوكيات وأفعال تجاه الرجل الأسود واتجاه كل البشر غير البيض .

ولكن في العالم الإسلامي رأيت أن الرجال والذين تميل لون بشرتهم إلى البياض ، يتعاملون بأخوة حقيقية لم أشهدها ، في أي مكان آخر . في ذلك الصباح ، حدث لي تغيير جذري لكل نظرتي إلى البيض .

وأنا هنا اقتبس من مذكرتي في تلك الظهيرة وأنا في الفندق كتبت "أن حماسي وأنا أجلس هنا ، في انتظار الذهاب لمقابلة لجنة الحج لا يمكن وصفه . كانت نافذتي تفتح غرباً تجاه البحر ، وفي الشوارع أرى ، الحجيج القادمون من جميع أنحاء العالم . وهم يلهجون بالدعاء لله ، وشفاههم رطبة بآيات من القرآن . لم أرى في حياتي منظراً جميلاً كهذا ، كما لم أشهد شيئاً مثله ولم أشعر بجو كهذا من قبل .

رغماً عن حماسي ، أشعر بأنني في أمان ، فعلى بعد آلاف من الأميال ، من هناك الحياة تختلف تماماً . تخيل ، قبل أربعة وعشرين ساعة ، كنت في الطابق الرابع قرب المطار ، وسط أناس لم أكن أستطيع التواصل معهم ، واشعر بالوحدة ولم أدرى ماذا سيكون مصيري . ثم مكالمة واحدة ، بحسب تعليمات د. الشواربي تغير الحال . قابلت واحد من أكثر أقوى الشخصيات في العالم الإسلامي . سوف أنام في سريره في فندق قصره بجدة . كنت أعلم انني محاطاً بعدد من الأصدقاء ، والذين أشعر بإخلاصهم وحماسهم الديني . فعلي أن أدعو الله مرة اخرى لشكره على هذه النعمة ، كما علي أن أدعوه مرة أخرى ، أيضاً لزوجتي وأطفالي في أمريكا ، أن يباركهما الله ، جزاءً على التضحيات التي قدموها . أديت الصلاة كما صليت عدة نوافل أخرى . من ثم نمت لمدة أربعة ساعات ، إلى أن رن جرس الهاتف . كان الاتصال من ابن د. عزام . قال : "أنه سوف يقوم بأخذي خلال ساعة ، لإعادتي لتناول العشاء . تعذرت الكلمات ، وأنا أحاول أن أُعبر عن شكري لكل ما يقومون به تجاهي . ولكنه قاطعني قائلاً "ما شاء الله !! انتهزت الفرصة ، وخرجت مسرعاً إلى بهو الفندق لأراه ، قبل وصول د. عزام . عندما فتحت باب غرفتي في البهو ، رأيت رجلاً في ملابس رسمية ، والذي يبدو واضحاً أنه ينزل في نفس الفندق ، كان أيضاً ينوي النزول . وعندما ظهر جاري ، عند مدخل

فندق القصر بجدة ، اندفع نحوه الناس ، وهم يقبلون يده . علمت فيما بعد أنه مفتي الديار بمدينة القدس ، وقد سنحت لي الفرصة فيما بعد بالتحدث معه لمدة نصف ساعة . كان رجلاً ودوداً كريماً وصاحب إباء كما كان عليماً بالشؤون العالمية ، وعارفاً بآخر الأحداث في أمريكا ولا يمكن أن أنسى ذلك العشاء بمنزل عزام . واقتبس مرة أخرى من مذكرتي "لا يمكن أن أقول أن هؤلاء الرجال بيضاً . لماذا ؟؟ لأنهم يتصرفون معي كأخوة ، كان د. عزام الأكبر يتصرف كأنه أبي ، كان حديثه ذو الطابع العلمي الأبوي ، يشعرني بأبوة حقيقية . كان دبلوماسياً خبيراً ، واسع الأفق ، ذو معرفة واسعة بشؤون العالم .

له معرفة لصيقة بأحوال العالم وشؤونه ، أشبه بمعرفة بعض الناس ، بما يدور في غرف معيشتهم . كلما تحدثنا أكثر ، كلما بدأت موسعته المعرفية . كما لو أنها غير محدودة . تحدث عن نسل وسلالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر أنه كيف جاء من مزيج من البيض والسود ، وتحدث عن أن مشاكل اللون وتعقيداته ، الموجودة في العالم الإسلامي ، توجد فقط على ذلك الجزء من العالم الإسلامي ، الذي تأثر بالغرب . كما قال ، أنه إذا صادف أحدٌ تميز واختلافات على أساس اللون ، فإن هذا يعكس درجة تأثره بالغرب . علمت في ذلك العشاء أنه وأثناء إقامتي في الفندق ، فإن محكمة لجنة الحج ، قد بُلغت بقضيتي ، وعلي أن أقابل اللجنة غداً صباحاً ، فكان أن مثلت أمام المحكمة .

قاضي المحكمة يدعى شيخ محمد هاركن كانت المحكمة خالية إلا مني أنا ، وأخت من الهند بروتستنينية ، واعتنقت الإسلام ، وتحاول ، أن تقوم بأداء الحج . كان لونها أسمراً ، ووجهها صغير ومغطى تماماً تقريباً .

القاضي "هاركن" كان رجلاً طيباً ورائعاً . تحدثنا . سألني بعض الأسئلة ، تتعلق بمسألة إخلاصي . أجبته بصدق بقدر المستطاع ، ما دفعه إلى الاعتراف لي ليس كمسلماً صادقاً فقط ، بل أعطاني كتاباً احدهما بالإنجليزية والآخر بالعربي . كما قام بوضع اسمي ضمن

السجل المقدس ، للمسلمين الصادقين . عندما كنت أنوي المغادرة قال لي "آمل أن تصبح أكبر الدعاة للإسلام في أمريكا ! فأجبت بأنني أشاركه هذا الأمل ، سوف أسعى لتحقيقه .

ابتهجت أسرة عزام ، بتأهلي ، وقبولي للذهاب إلى مكة . تناولنا وجبة الغداء في فندق القصر بجدة . ثم نمت لعدة ساعات ، إلا أن أيقظني رنين الهاتف . كان على الهاتف محمد عبد العزيز ماجد ، نائب رئيس المراسم والبرتوكول للأمير فيصل ، "هناك عربة خاصة ، في انتظارك لأخذك إلى مكة مباشرة بعد وجبة العشاء" . قال ذلك ونصحني بالأكل جيداً ، ذلك لأن طقوس الحج تتطلب قوة . كنت أكثر من مندهشاً لذلك .

رافقني اثنان من الشباب العرب إلى مكة . كانت الرحلة سهلة وذلك بفضل ، حسن إضاءة الشارع ، وبواباته الحديثة . في الطريق كان بعض الحراس ، يلقون بنظرة إلى السيارة ، ويقوم السائق بعمل إشارة ، ومن ثم نواصل السير ، ولم نكن حتى نبطئ . وقد أثارني ذلك ، فانتابتني مشاعر مختلفة من الشعور بالأهمية والتواضع والشكر . كانت مكة عندما دخلناها ، قديمة قدم الزمن نفسه . أبطأت السيارة وسط عدداً من السيارات والشاحنات وعشرات الآلاف من الحجيج ، من كل أرجاء العالم في كل مكان . وقفت السيارة في مكان ، حيث كان المطوف ينتظرني . وكان يرتدي الطاقية البيضاء ، والقميص الليلي الطويل والذي رأيته في المطار .

كان عربياً قصيراً ، ولونه داكن يدعى محمد ، ولا يعرف الإنجليزية ، أوقفنا العربة بالقرب من الحرم . توضأنا ومن ثم دخلنا . كان الحجيج كأنهم مرصوصون فوق بعضهم ، بعضهم راقداً ، والبعض جالساً وآخرون يصلون ، وبعضهم يتمشى ، لا يمكن وصف الحرم بالكلمات . الذي يعتبر مسجداً تم بناؤه حول الكعبة والتي هي عبارة عن مبناً ضخماً من الحجر يوجد في منتصف الحرم .

وكان هناك الآلاف والآلاف من الحجيج يطوفون بها ، ويلهجون بالدعاء ، من الجنسين ومن مختلف الأحجام والأشكال ، والألوان ومختلف أعراق العالم وكنت أحفظ الدعاء والذي علي ترديده عند مشاهدة الكعبة .

يا رب . انت السلام ، ومنك السلام حيينا يا ربنا بالسلام . بمجرد دخول الحرم على الحاج أن يحاول تقبيل الكعبة إذا أمكنه ذلك ، ولكن إذا منعه الزحام من ذلك فعليه لمسها وإذا لم يمكنه ذلك فعليه أن يرفع يده مكبراً ومهللاً الله أكبر !! ولم يكن في مقدوري الاقتراب من الكعبة ، فكبرت الله أكبر !! وقد تخدرت وتجمدت أحاسيسي ، وأنا أقف أمام بيت الله .

قادني المطوف وسط ازدحام الحجيج ، وهم يدعون ويهللون ويكبرون ، وطاف بي سبعة أشواط حول الكعبة ، بعض الحجيج كانوا منحني الظهر بسبب كبر السن . كان مشهداً ينطبع على عقلك ولا ينسى . رأيت عدداً من الحجيج العاجزون وهم محمولون على البعض .

كانت الوجوه مبتهجة ، في الشوط السابع من الطواف ، صليت ركعتين ساجداً ورأسي على الأرضية ، في الركعة الأولى قرأت سورة الإخلاص " قل هو الله أحد ، الله الصمد" الخ السورة في الركعة الثانية قرأت سورة الكافرون "قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون" الخ السورة . أثناء صلاتي كان المطوف يُبعد عني الجموع من الحجيج ، حتى لا أُدهس . شربنا أنا والمطوف من بئر زمزم ثم سعينا بين الصفا والمروة ، كما فعلت هاجر وهي تجوب الأرض بحثاً عن الماء لأبنها إسماعيل ، وقمت بزيارة الكعبة ثلاثة مرات متفرقة بعد ذلك قمت بزيارة الحرم وطوفت بالكعبة .

في اليوم الثاني توجهنا بعد غروب الشمس إلى جبل عرفات ، الآلاف من الحجيج وهم يهللون ويكبرون "لبيك اللهم لبيك ! الله أكبر ! مكة محاطة بسلسلة جبلية ، كانت اشبه بقايا انفجار هائل. لا توجد أي خضرة عليها ، وصلنا ظهراً صلينا ، ثم واصلنا التهليل حتى غروب الشمس . وقمنا وصلينا كل من العصر والمغرب والعشاء جمع تأخير .

أخيراً رفعنا أيدينا بالدعاء والشكر ونحن نردد "لا إله إلا الله . لا شريك له .

إن الوقوف بعرفة ، يكمل مراسم الحج ، وكل من يفوته ذلك فلا حج له . انتهى الإحرام قمنا برمي الجمرات ، بعض الحجيج قام بحلق شعورهم ولحاهم . قررت أن أترك لحيتي مرسلة . تساءلت ماذا ستقول زوجتي وبناتي عندما يروننني بهذه اللحية عند عودتي إلى نيويورك . تبدو نيويورك على بعد ملايين الأميال . لم أرى صحيفة منذ تركت نيويورك . لا أدري ماذا يدور هناك . تم اكتشاف نادي للبندقية والرماية خاص بالزنوج ، وهو موجود في هارلم منذ اثنتي عشر سنة عن طريق الشرطة ، زعموا أنني وراءه . رفع إليجا محمد وأمة الإسلام قضية ضدي لإجباري أنا وأسرتي لإخلاء المنزل ، والذي نعيش فيه في روك أيلاند.

كان لمعظم كبريات ومحطات الراديو والتلفزة والتي في أمريكا ، مناديب وممثلين في القاهرة ، فأخذوا في البحث عن مكاني ، لإجراء مقابلة معي ، حول موجة الغضب السائدة في نيويورك ، والتي أُدعى أني السبب فيها . بينما لم أكن أعلم عنها شيئاً . كل ما أعرفه أنني غادرت أمريكا والتي يتناقض واقعها مع ما وجدته في العالم الإسلامي . جلسنا نحن حوالي عشرون حاجاً في جبل عرفات بعد أن فرغنا من أداء الحج ، وقد تم التركيز علي كمسلم قادم من أمريكا . سألوني ما هو الشيء الذي أبهرني أكثر هنا في الحج . منهم الذين يتحدثون الإنجليزية سألوني : وقاموا بالترجمة للبقية . ولم تكن إجابتي عن السؤال ما توقعوه ولكن كانت كافية لتوضيح نقطتي .

قلت "إنها الأخوة الحقيقية" أن يجتمع كل الناس من مختلف الأعراق والألوان من أنحاء العالم في مكان واحد. هذا يثبت لي كأنه إرادة وقوة الرب الواحد ، قد يكون خارجاً عن الموضوع ، ولكن منحوني فرصة فانتهزتها ، بالحديث وقدمت موعظة سريعة عن قضية العنصرية في أمريكا وشرورها ، وقد لاحظت مدى تأثير ذلك عليهم . فقد كانوا يعلمون وضع الرجل الأسود في أمريكا سيئاً ، ولكنهم لم يكونوا يدركون أنه وضع غير إنساني مدمراً نفسياً .

لقد صُدم هؤلاء الناس باعتبارهم يشكلون جزءاً آخر من العالم . وكمسلمين ، فقد تعاطفوا مع هؤلاء البشر التعساء وكان لهم حساسية خاصة تجاه الحقيقة والعدالة .

وفي كل شيء قلته لهم ، ونحن نتحدث كانوا يدركون المعيار الذي استخدمه لقياس كل مسألة او قضية . وأنه لا يوجد في الأرض شيء أكثر شراً وإيذاءاً من العنصرية التي تعني في المحصلة الأخيرة ، فشل خلق الله في العيش كأمة واحدة ، خاصة في العالم الغربي . فكرت منذ ذلك الحين في كتابة ذلك الخطاب والذي كان يتشكل في عقلي .

أن العالم والمجتمع المسلم المتدين ، والذي يحفل بمسألة اللون ، والعالم والمجتمع الإسلامي يتسامح مع قضية اللون ، هذان العاملان أصبحا يؤثران على طريقة تفكيري السابقة الخطاب الأول كان لزوجتي "بتي" لا يمكن لدي أدنى شك أن بيتي بعد اندهاشها. ولكنها سوف تنضم إلى وتغير طريقة تفكيرها ولدي الآن القناعات ، أن بتي تؤمن وتثق في تماماً.

كنت أعلم أنها سوف تنظر إلى الموضوع كنظرتي له ، وذلك أنني في أرض النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأرض النبي إبراهيم ، ألهمني الله بفهم صحيح لدين الإسلام ، وكذلك فهم أفضل للازمة العرقية برمتها في أمريكا – بعد كتابة خطاباً لزوجتي ، كتبت خطاباً مشابهاً لشقيقتي "إيلا" وكنت أعلم موقف ورأي "إيلا" . فهي تقوم بتوفير بعض الأموال للقيام بأداء الحج . كما كتبت خطاباً ثالثاً للدكتور شواربي ، والذي وثق في ومكنني من الحصول على التأشيرة لدخول مكة . وطيلة الليل ، قمت بنسخ خطابات طويلة لبعض الناس القريبون مني ومن بينهم ابن إليجا محمد ، وأليس محمد ، والذي أعرب عن قناعته ، بأن الخلاص الوحيد لأمة الإسلام ، سيكون في قبولها وفهمها الأفضل للإسلام الصحيح. كتبت كذلك لمساعدي في مسجد المسلمين العالمي المكون حديثاً في "هارلم" مرفقاً مذكرة بهذا الخطاب ، طالباً منهم أن يقوموا بنسخه ، وتوزيعه للصحافة . كنت أعلم أنه بمجرد أن ينشر خطابي هذا علناً ، فسوف يندهش الكثيرون من احبائي وأصدقائي وحتى أعدائي .

ولكن سيكون أقل اندهاشاً بقية الملايين والذين لا أعرفهم ، والذي كانوا يحملون كراهية خاصة لمالكوم اكس ، طيلة وجودي في الاثنتي عشر سنة التي أمضيتها مع إليجا محمد . وأنا نفسي أصابتني دهشة . ولكن هناك سابقة في حياتي لهذا الخطاب . وحياتي كلها كانت سلسلة من التغيير . وهذا ما كتبته – من قلبي .

(لم أشاهد في حياتي مثل هذا الكرم وروح الإخاء الحقيقي واللذان وجدتهما ، تمارسان من أناس من مختلف الأعراق والألوان ، كما شهدت ذلك في هذه الأرض المقدسة ، أرض الأنبياء والرسل ، إبراهيم ومحمد عليم جميعاً السلام . طيلة الأسابيع الماضية ، ظللت عاجزاً عن الكلام ومندهشاً ، بما رأيته من رقة ، من جميع من حولى من أناس بمختلف الألوان . لقد أكرمني الله بزيارة المدينة المقدسة مكة . حيث طفت بالكعبة ، سبع أشواط ، وأنا بصحبة مطوف يدعى محمد . كما شربت من بئر زمزم ، وسعيت بين الصفا والمروة سبعة مرات ، صليت في المدينة القديمة منى ، كما وقفت ودعيت على جبل عرفات .

كان هناك عشرات الآلاف من الحجيج من كل أنحاء العالم . ومن مختلف الأعراق والألوان وهم يقومون بنفس الطقوس والعبادات ، ويظهرون روحاً من الوحدة والإخاء الأمر الذي جعل تجربتي في أمريكا تقودني إلى الاعتقاد أن مثل هذا الإخاء لا يمكن أن يحدث بين البيض والسود . على أمريكا أن تفهم الإسلام ، لأنه الدين الذي أزال من المجتمعات مشكلة العنصرية . خلال سفري في العالم الإسلامي ،قابلت وتحدثت بل حتى أكلت مع أناس ، يعتبرون في أمريكا بيضاً ، ولكن استطاع الإسلام ، أن يغير من سلوكهم العنصري.

لم أشهد من قبل أخوة صادقة وحقيقية كما شاهدتها هنا ، بين كل الأجناس بغض النظر عن ألوانهم . قد تندهشون من هذه الكلمات . ولكن في هذا الحج ما رأيته وخبرته أجبرني على تغيير وإعادة النظر في أنماط تفكيري السابقة ، كما تخليت عن قناعاتي السابقة ، ولقد كان ذلك سهلاً بالنسبة لي . ورغم قناعاتي ، ولكنني كنت دائماً رجلاً يحاول أن يواجه حقائق

وتقبل واقع الحياة ، الذي يبحث عن الحقيقة كتجارب جديدة وكمعرفة جديدة تمنحني إياها الحياة .

كنت دائماً رجلاً ذو عقل مفتوح ، هو أمر ضروري ، حتى يتماشى ذلك جنباً إلى جنب مع مرونة العقل الذكي .

في خلال الإحدى عشر يوماً التي قضيتها في العالم الإسلامي لقد أكلت من نفس الطبق شربت من نفس الكأس ، ونمت في نفس السرير (أو السجاد) ونحن ندعو ونصلي لنفس الإله مع أخوة مسلمين ، والذين أعينهم زرقاء وشعورهم شقراء ، وألوان بشرتهم بيضاء ، وجدت في كلام وتصرفات هؤلاء المسلمين البيض نفس الإخلاص والأخوة التي أشعرها عندما أكون بين مسلمين أفريقيين سود من نيجريا أو السودان أو غانا . كنا نمثل أخوة حقيقية ، وبسبب اعتقادهم وإيمانهم بنفس الإله ، أزال ذلك الإيمان عنهم العقلية العنصرية ، والسلوك والتصرفات ذات الطابع العرقي .

وأنا أرى أنه إذا قدر للأمريكان البيض تقبل فكرة الإله الواحد ، ربما يدفعهم هذا تقبل فكرة وحدة البشر في الواقع – وسوف يكفون عن تقييم الناس على أساس اللون ، وربما يمنعهم من إيذاء الآخرين بسبب اختلاف ألوانهم .

وأمريكا تعاني من مشكلة العنصرية ، تنهش فيها مثل سرطان لا يرجى شفاءه ، فإن ما يسمى بأمريكا المسيحية البيضاء عليها تقبل حل أثبت نجاحه لحل هذه المشكلة المدمرة. ربما حان الوقت ، لإنقاذ أمريكا من كارثة وشيكة وهي نفس الكارثة الدمار الذي أصاب ألمانيا العنصرية والذي أدى في النهاية إلى تدمير والقضاء على الألمان .

كل ساعة أقضيها في الأرض المقدسة تمكنني من التزود ببصيرة نافذة لما حدث في أمريكا ، بين البيض والسود .

لا يمكن أن نلوم الزنجي الأمريكي على شعوره بالعداوة والعنصرية – فهي ردة فعل طبيعي لعنصرية بيضاء عمرها أكثر من مائة عام . ولكن في الوقت الذي تقود فيه العنصرية أمريكا نحو طريق انتحاري ، أنا أؤمن ، ومن خلال تجاربي مع أجيال من طلاب الكليات والجامعات ، أرى أنهم سوف يعودون بأمريكا إلى الطريق الحقيقية والخلاص.

لم يحدث أن تم تكريمي ولم يحدث أن شعرت بذلك الشعور من التواضع . من يصدق أن يتلقى زنجياً أمريكياً هذا الإكرام والاحترام ؟؟ بعد ليالي معدودة فقط ، منحني رجلاً يعتبر أبيضاً في أمريكا ، وهو يعمل دبلوماسياً في الأمم المتحدة وسفيراً ، وصديقاً للملك ، تنازل لي عن جناحه وسريره الخاص . وبواسطة هذا الرجل نفسه . علم فخامة الأمير فيصل ، حاكم الأراضي المقدسة بوجودي في جدة .

صباح اليوم التالي ، ابن الأمير فيصل شخصياً ، أخبرني أنه وبمرسوم ملكي من جلالته ، اعتبر نفسي ضيف رسمي على المملكة .

كما قام نائب رئيس الحج والمراسم بأخذي إلى محكمة الحج . كما قام قداسة الشيخ محمد هاركن نفسه بإعطائي التأشيرة لزيارة مكة كما سلمني كتابان عن الإسلام ، يحملان توقيعه ، ودعى لي أن يوفقني الله أن أصبح داعية ناجحاً في أمريكا . كما تم تخصيص عربة وسائقها ، لتكون في خدمتي ، الأمر الذي مكنني من التجوال في هذه الأراضي المقدسة كما أشاء .

وقد وفر لي غرف مكيفة الهواء وخدم لخدمتي في أي مدينة زرتها . كما لم أكن حتى أحلم بأنني سوف يتم تكريمي وتشريفي بهذه الصورة. وهو تشريف وتكريم في أمريكا يمنحونه لملك ولكن ليس لزنجي . الحمد لله رب العالمين .

مخلصكم :

الحاج مالك شاباز .